جامعـــة الأزهـــــر
كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
كلية معتمدة من الهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد

النظرية النقدية "مدرسة فرانكفورت"

عرض ونقد

إعداد

أ/ فاطمة ناصر باحكيم

محاضر بقسم الدراسات الإسلامية، كلية الشريعة والقانون، جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل، الدمام.
باحثة دكتوراه بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية الشريعة وأصول الدين، جامعة الملك خالد

مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية العدد الرابع والأربعون، لعام ١٤٤٦هـ - يونيو ٢٠٢٥م والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠٢٤/٦١٥٧ والترقيم الدولي الطباعي
The Online ISSN 2974-4679 و I.S.S.N 2974-4660

النظرية النقدية "مدرسة فرانكفورت" عرض ونقد

فاطمة ناصر باحكيم

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية الشريعة وأصول الدين، جامعة الملك خالد، السعودية.

البريد الالكتروني: fnbhakim@iau.edu.sa

ملخص البحث: ـ

يتناول البحث النظرية النقدية، وتعتمد الدراسة فيه منهجًا وصفيًا تحليليًا لمراجعة الأفكار العامة للنظرية النقدية، والسعي إلى فهم وتحليل أبعادها في تعزيز النقد الذاتي وتحدي القيم التقليدية لمواجهة الهيمنة الفكرية والاجتماعية. وقد اشتهرت النظرية النقدية بمسمى مدرسة فرانكفورت، وهي حركة فكرية فلسفية تأسست عام ١٩٢٣م في ألمانيا، وتهدف إلى نقد وتفكيك الأنظمة الفكرية والاجتماعية المهيمنة. يوضح البحث تعريف النظرية النقدية وملامحها العامة، وكيف نشأت. وأظهر البحث مراحل تطور النظرية النقدية والمؤثرات عليها كتأثير فلسفات كانط وهيجل وماركس، والتحليلات النفسية لفرويد، وغير ذلك. ويركز البحث على سمات مدرسة فرانكفورت الأساسية مثل: اتسامها بطابع نقدي ثوري، فنقدت التشيؤ والاغتراب، والعقلانية التقنية، والقمع والتسلط في المجتمعات الصناعية المتقدمة. وأبرز البحث بعضًا من أعلام مدرسة فرانكفورت مثل هوركهايمر، أدورنو، وماركوز، والتر بنيامين، وإريك فردوم، ويورغن هابرماس. وخُتم البحث بعرض بعض من إيجابيات وسلبيات النظرية النقدية.

الكلمات المفتاحية: النظرية النقدية، مدرسة فرانكفورت، التشيؤ والاغتراب، المجتمعات الصناعية.

The Critical Theory "Frankfurt School": Review and Critique

Fatima Nasser Bahkim
Department of Doctrine and Contemporary Doctrines, College of Shari'ah and Fundamentals of Religion, King Khalid University - Saudi Arabia .
Email: fnbhakim@iau.edu.sa

Abstract:-

This research addresses critical theory, employing a descriptive-analytical methodology to review its general concepts and analyze its dimensions in promoting self-criticism and challenging traditional values to confront intellectual and social dominance. Critical theory, also known as the Frankfurt School, is a philosophical intellectual movement established in 1923 in Germany, aiming to critique and deconstruct dominant intellectual and social systems. The study provides a definition of critical theory, its general features, and its origins. It highlights the stages of its development and the influences on it, such as the philosophies of Kant, Hegel, and Marx, the psychoanalytic insights of Freud, among others. The research focuses on the core features of the Frankfurt School, such as its revolutionary critical nature, its critique of reification and alienation, technical rationality, oppression, and authoritarianism in advanced industrial societies. The research also sheds light on prominent figures of the Frankfurt School, including Max Horkheimer, Theodor Adorno, Herbert Marcuse, Walter Benjamin, Erich Fromm, and Jürgen Habermas. The study concludes by presenting some of the strengths and weaknesses of critical theory.

Keywords: Critical theory, Frankfurt School, objectification and alienation, industrialized societies.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تمثل النظرية النقدية إحدى أبرز المدارس الفكرية في الفلسفة والاجتماع خلال القرن العشرين، ويعود تراثها إلى ما يقارب مائة عام، وهي الأعوام التي مضت على ابتداء تسميتها بالنظرية النقدية في عام ١٩٢٣م. وكان بداية انطلاقها في معهد البحث الاجتماعي في مدينة فرانكفورت الألمانية، وسميت النظرية النقدية إثر ذلك بمدرسة فرانكفورت وهو الاسم الشائع لها.

وقد نشأت في سياق الأزمات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي عرفها العالم في فترة ما بين الحرب العالميتين، حيث تبلورت هذه النظرية من خلال جهود مجموعة من المفكرين والفلاسفة، الذين صبوا جل اهتمامهم على نقد الحداثة الغربية، والرأسمالية الصناعية، والعقلانية الأداتية، ورأوا أنها تؤدي إلى تشيؤ الإنسان واغترابه عن ذاته ومجتمعه.

وتراث النظرية النقدية لا يزال يترك بصمته الواضحة على المشهد الفكري في أوروبا الغربية، وأميركا الشمالية، كاشفًا على قدرته بالتجدد والعودة إلى الحياة كلما بدا أنه يسير في المسار الطبيعي الذي تؤول إليه الأشياء جميعًا. فقد تحدت بأسلوبها النقدي لبعض الاتجاهات الفكرية في القرن العشرين كالوجودية والوضعية ومؤخرًا ما بعد الحداثة، ولا تزال تذكر العالم الأكاديمي بغنى أفكارها وأهميتها.

ويسعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على الجوانب المتعددة لهذه النظرية، بدءًا من تعريفها ونشأتها وتأثيراتها الفكرية وصولاً إلى ذكر أبرز أعلامها، مع بيان بعضًا من إيجابياتها وسلبياتها ضمن السياقات الدينية والفكرية والاجتماعية.

أولا: التعريف بموضوع البحث:

يبتدأ البحث بتعريف شامل للنظرية النقدية من ناحية اللغة وفي اصطلاح مفكريها، ثم يبين نشأتها ومراحل تطورها بعد ذلك، ثم يوضح الأفكار والسمات العامة لهذه المدرسة، والمؤثرات عليها، ويذكر أعلامها البارزين، ويختم البحث ببيان بعض النقد على النظرية النقدية.

ثانيًا: إشكالية البحث:

ما النظرية النقدية وما أبعادها الفلسفية؟

ثالثا: تساؤلات البحث:

١.ما تعريف النظرية والنقد؟

٢.ما مفهوم النظرية النقدية عند أصحاب مدرسة فرانكفورت وما ملامح أفكارها العامة؟

٣.متى نشأت النظرية النقدية؟

٤.ما المؤثرات التي أثرت على النظرية النقدية؟

٥.ما السمات العامة لمدرسة فرانكفورت؟

٦.من هم الأعلام البارزين في مدرسة فرانكفورت؟

٧.ما هي إيجابيات وسلبيات النظرية النقدية؟

رابعًا: أهمية الموضوع:

تنبع أهمية البحث من أهمية مدرسة فرانكفورت وأثرها على الفلسفة المعاصرة، وما قدموه روادها من فكر لتنمية ذلك، فتحاول تفسير التحولات الاجتماعية والفكرية التي شهدها المجتمع الغربي، مع الربط بين الفلسفة والمجتمع، وتقدم النظرية نقدًا

للأنظمة السياسية والاقتصادية والثقافية، كما تتضح أهمية هذا البحث من خلال أهدافه.

خامسًا: أسباب اختيار الموضوع:

الرغبة في التعرف على النظرية النقدية وفلاسفتها، وأهم أفكارها.

سادسًا: أهداف البحث:

١. بيان معنى النظرية والنقد.

٢. بيان مفهوم النظرية النقدية عند أصحاب مدرسة فرانكفورت وملامح لأفكارها العامة.

٣. إبراز تاريخ النظرية النقدية.

٤. إيضاح للمؤثرات على فلسفة النظرية النقدية.

٥. بيان للسمات العامة لمدرسة فرانكفورت.

٦. إبراز للأعلام البارزين في مدرسة فرانكفورت.

٧. ذكر لبعض إيجابيات وسلبيات النظرية النقدية.

سابعًا: منهج البحث:

ينتهج البحث المنهج التحليلي والوصفي والنقدي، فيسعى لبيان وتحليل النظرية النقدية، ومفكريها، وسمات أفكارها، وينتقدها بذكر الإيجابيات والسلبيات.

□

ثامنًا: خطة البحث:

يشتمل البحث على: مقدمة وستة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول: مفهوم النظرية النقدية، وملامح لأفكارها العامة.

المطلب الأول: معنى النظرية والنقد.

المطلب الثاني: مفهوم النظرية النقدية عند مدرسة فرانكفورت.

المطلب الثالث: الملامح العامة للنظرية النقدية.

المبحث الثاني: نشأة النظرية النقدية.

المبحث الثالث: المؤثرات على النظرية النقدية.

المطلب الأول: بعض الأعلام المؤثرين على فكر مدرسة فرانكفورت.

الأول: تأثير فلسفة كارل ماركس.

الثاني: تأثير فلسفة كانط وهيجل.

الثالث: تأثير الطبيب والعالم النفسي فرويد.

المطلب الثاني: المؤثرات الخارجية.

المبحث الرابع: السمات العامة لمدرسة فرانكفورت.

المطلب الأول: مقولة التشيؤ والاغتراب.

المطلب الثاني: العقل الأداتي أو العقلانية التقنية.

المطلب الثالث: القمع والتسلط في المجتمعات الصناعية المتقدمة.

المطلب الرابع: الطابع الثوري للنظرية.

المطلب الخامس: أنماط المعرفة والمصالح الموجهة لها.

المبحث الخامس: بعض الأعلام البارزين في مدرسة فرانكفورت.

المطلب الأول: هوركايمر.

المطلب الثاني: تيودور فيزنغروند أدورنو.

المطلب الثالث: هربرت ماركوز.

المطلب الرابع: والتر بنيامين.

المطلب الخامس: إريك بينشاس فروم.

المطلب السادس: يورغن هابرماس.

المبحث السادس: بعض الإيجابيات والسلبيات في مدرسة فرانكفورت.

الخاتمة وفيها أبرز النتائج والتوصيات.

قائمة المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.

المبحث الأول: مفهوم النظرية النقدية، وملامح لأفكارها العامة:

المطلب الأول: معنى النظرية والنقد.

لتوضيح النظرية النقدية نبدأ بتعريف المفاهيم الأساسية التي تقوم عليها، وذلك بذكر معنى النظرية والنقد في كل من اللغة والفلسفة، فتعرَّف النظرية في اللغة بأنها: قضية تثبت ببرهان، وفي الفلسفة طائفة من الآراء تفسر بها بعض الوقائع العلمية أو الفنية. (١) والنظرية عند الفلاسفة هي تركيب عقلي، مؤلف من تصورات منسقة، تهدف الى ربط النتائج بالمبادئ. (٢)

ويعرَّف النقد في اللغة: يقال نقده أي: نقره ليختبره، أو ليميز جيده من رديئه، ويقال نقد النثر ونقد الشعر أظهر ما فيهما من عيب أو حسن، وفلان ينقد الناس يعيبهم ويغتابهم. (٣) وللانتقاد عند الفلاسفة عدة معان:

١. الانتقاد بالمعنى العام النظر في قيمة الشيء، كانتقاد العقل المحض وذلك بالنظر في قيمة العقل، من حيث هو ميزان توزن به الأمور النظرية، فالغاية من انتقاد العقل المحض هي الوصول إلى الحقيقة. والفكر الانتقادي هو الفكر الذي لا يقبل أي قول من دون أن يمحصه وينظر في قيمته، فإذا نظر في مضمون القول، كان انتقاده داخليًا، واذا نظر في أصله ومنشئه كان انتقاده خارجيًا.

---

(١) بتصرف: النجار، محمد وآخرون، المعجم الوسيط، ب. د. ط، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، القاهرة، ب. د. ت، ٩٣٢/٢.

(٢) ينظر: صـــليبيا، جميل، المعجم الفلســـفي، ب. د. ط، الشـــركة العالمية للكتاب، بيروت، ١٤١٤هـ=١٩٩٤م، ٤٧٧/٢.

(٣) بتصرف: النجار، محمد وآخرون، المعجم الوسيط، مرجع سابق، ٢/ ٩٤٤.

٢.الانتقاد بالمعنى الخاص هو إظهار عيوب الشيء دون محاسنه، وهو انتقاد سلبي، وعكسه الانتقاد الإيجابي.

٣.يطلق لفظ الانتقاد عند بعض الفلاسفة القدماء على أحد أقسام المنطق، أي على القسم الباحث في الحكم أو القضية، ولكن الفلاسفة المحدثين أبطلوا اليوم هذا الاستعمال. (١)

فيظهر من التعريفات السابقة أن تعريف النظرية النقدية بشكل عام هي: الآراء التي تفسر بها بعض الوقائع، فتختبر هذه الوقائع ويظهر ما فيها من عيب وحسن.

(١) ينظر: صليبيا، جميل، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ١/١٤٩-١٥١.

المطلب الثاني: مفهوم النظرية النقدية عند مدرسة فرانكفورت.

لفهم مفهوم النظرية النقدية بشكل دقيق، من الضروري الرجوع إلى تعريفها كما قدمه أحد أبرز مؤسسي مدرسة فرانكفورت، ماكس هوركهايمر، الذي يرى النظرية على أنها: نظام من القضايا المتصلة بمجال معرفي معين، تقوم على انسجام داخلي يُثبت بكون جميع القضايا تستنبط منطقيًا من بعضها البعض. ويؤكد هوركهايمر أن اقتراب النظرية من الكمال يتحقق عندما يقل عدد المبادئ الأساسية مقارنة بنتائجها، وتظهر مصداقية النظرية إذا كانت القضايا المستنبطة متطابقة مع الوقائع والمعطيات الفعلية. أما إذا وُجد تناقض بين النظرية والتجربة، فإن ذلك يتطلب مراجعة أحدهما: إما أن تكون الملاحظات التجريبية معيبة، أو أن المبادئ النظرية تحتوي على خطأ ما، وبالتالي تظل النظرية دائمًا بمثابة فرضية مؤقتة، يجب تعديلها كلما أظهرت معالجة المعطيات تناقضات أو تعارضات مع الواقع. (١) وذكر أيضًا: أن النظرية هي التراكم المنظم للعلم بشكل يتيح أعمق وصف ممكن للوقائع، وإن الغاية القصوى للنظرية بصفة عامة هي بناء نظام كوني للعلم، لا ينحصر في مجال محدد بل يشمل جميع المواضيع الممكنة، فعندئذ يتحقق تجاوز تعدد العلوم المتفرقة، بحيث أن القضايا المتعلقة بمختلف ميادين العلم ترد جميعًا إلى نفس المقدمات. (٢)

والهدف الأساسي الذي تسعى إليه مدرسة فرانكفورت هو صياغة أساس لنظرية، وممارسة أكثر كفاءة وفاعلية، لتفسير الظروف التاريخية المتغيرة والتعامل معها،

---

(١) بتصـــرف: هوركايمر، ماكس، النظرية التقليدية والنظرية النقدية، ترجمة: مصـــطفى الناوي، مراجعة: مصطفى خياطي، ط١، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، ١٩٩٠م، ص٥.

(٢) ينظر، هوركايمر، النظرية التقليدية والنظرية النقدية، مرجع سابق، ص٦.

ويتم ذلك من خلال تبني نمط من النقد السلبي، وتجاوز القيود التي فرضتها أفكار كانط، المؤسسة للعقلانية الحديثة، وتجاوز الجمود الذي اتسمت به الماركسية الأرثوذكسية، والتي أهملت دور الذات الإنسانية في معادلاتها. من هذا المنطلق حاولت مدرسة فرانكفورت البرهنة على أن العقلانية التي قام عليها المشروع الثقافي الغربي، سواء كنتاج فلسفي نظري وعلمي، أو كنظم اجتماعية وتاريخية، أو كنسق قيمي وسلوكي، تشكل أيديولوجيا شاملة ومتماسكة، هذه الأيديولوجيا لا تهدف سوى إلى تبرير التسلط وتحويله إلى عقيدة راسخة تُبرر القمع القائم باعتباره حقيقة مستمرة. (١)

إذًا: يمكن القول إن النظرية النقدية تمثل نقدًا للواقع الأوروبي في مطلع القرن العشرين، حيث توجهت لنقد الأسس الفكرية التي أفرزت هذا الواقع، وشمل هذا النقد أيضًا النظريات السياسية الليبرالية، والنظريات الاجتماعية، والحداثة بما حملته من تصورات عن الحياة والمجتمع، وكذلك منظومتها السياسية والاقتصادية. كما تناول النقد النظرية الرأسمالية المهيمنة، وأعاد النظر في مشروع التنوير، مسلطًا الضوء على تناقضاته وأثره في تشكيل هذا الواقع.

(١) بتصرف، بوتومور، توم، مدرسة فرانكفورت، ترجمة: سعد هجرس، مراجعة: محمد حافظ دياب، ط٢، دار أويا، طرابلس، ٢٠٠٤م، ص٢٠.

المطلب الثالث: الملامح العامة للنظرية النقدية.

إن النظرية النقدية تمثل نموذجًا فكريًا متكاملًا، يسعى إلى تحليل جذور الهيمنة والقمع داخل البنى الاجتماعية المختلفة، وتركز على تفكيك مظاهر السيطرة التي يفرزها العقل الأداتي، بهدف تحقيق وعي نقدي قادر على تحدي الأنظمة وإزالتها، فأصبحت النظرية النقدية أداة فاحصة لإيديولوجيات المجتمع، كاشفةً زيفها، ومحاولة لتجاوز الأنظمة الاستبدادية، مع السعي لتأسيس تصور اجتماعي جديد يرتكز على النزعة الإنسانية ولتحقيق هذه الغاية، رسخت النظرية النقدية دورها كفكر تحليلي نقدي يستهدف التغيير، ونقد الواقع، وذلك من خلال إسهامها في تنوير الأفراد الملتزمين بمبادئها، من خلال الآتي:

١. جعل النقد منهجًا أساسيًا في التعامل مع الأفكار، والظواهر، والأحداث.
٢. التحرر من أي اتجاه يسعى إلى الدمج أو الاحتواء الشامل، بما يلغي التعددية.
٣. الابتعاد عن أشكال الاستقطاب التي تمثلها المؤسسات الكبرى، كالدولة والأحزاب.
٤. العمل على تحقيق التكامل بين الفلسفة ومجالات العلوم الاجتماعية، دون فصل بينهما.
٥. تجاوز استبدادية الحداثة، بما فيها الأنماط الإنتاجية التي تؤدي إلى نتائج سلبية وشاذة.
٦. تفكيك الادعاءات التي تدعي امتلاكها للحقيقة المطلقة.

٧. محاربة الاتجاه العلمي الزائف الذي يمنح شرعية مصطنعة للنظام السياسي والاجتماعي القائم على العقلانية التقنية. (١)

من خلال هذه الملامح، يتضح أن النظرية النقدية لا تسعى فقط إلى تحليل الواقع، بل تعمل على تغييره من خلال نقد كل ما لا تتفق معه، إذ تستهدف تفكيك مظاهر القمع والاستبداد في المجتمعات الحديثة، مع التأكيد على النزعة الإنسانية في معالجة القضايا الاجتماعية والسياسية. إنها دعوة لإعادة النظر في أسس الفكر والواقع، مما يجعلها مشروعًا مستمرًا لتحرير الإنسان من قيود الهيمنة بكافة أشكالها.

(١) بتصرف: فياض، حسام الدين، النظرية النقدية للمجتمع مدرسة فرانكفورت نموذجًا، ط١، نحو علم اجتماع تنويري، ٢٠١٠م، ص١٩-٢٠.

المبحث الثاني: نشأة النظرية النقدية.

تمثل نشأة النظرية النقدية وظهور مدرسة فرانكفورت إحدى اللحظات الفارقة في تاريخ الفكر الفلسفي والاجتماعي الحديث، حيث تأسست هذه المدرسة استجابة للمتغيرات التاريخية والاجتماعية والسياسية التي شهدها القرن العشرين.

وقد تبلورت النظرية النقدية بوصفها مشروعًا يسعى إلى نقد المنظومات الفكرية والاقتصادية والاجتماعية المهيمنة، بهدف إعادة صياغة العلاقة بين الفرد والمجتمع ضمن إطار إنساني أكثر شمولًا، وانطلقت هذه النظرية من معهد البحث الاجتماعي لتصبح بعد ذلك تيارًا فكريًا متكاملًا، يتطور على مدار مراحل ومحطات متعددة.

تأسس معهد البحث الاجتماعي عام ١٩٢٣م، بتمويل من رجل الأعمال المستنير هيرمان فايل، الذي كوّن ثروته من تجارة الحبوب في الأرجنتين. وقد جاء هذا الدعم بعد إلحاح من ابنه فيليكس فايل، الذي كان مناصراً للأفكار البلشفية، وأسهمت جهوده في إنشاء أول مؤسسة فكرية ماركسية من نوعها.

انطلقت هذه المؤسسة من مجموعة دراسات ماركسية كانت تسعى لمعالجة المشكلات التي تواجه الحركة العمالية عقب الثورة الروسية.

كان كورت ألبرت جيرلاخ، أحد أصدقاء فيليكس المقربين، وكان من المقرر أن يصبح أول مدير للمعهد، لكونه ديمقراطيًا واقتصاديًا واشتراكيًا، لكنه توفي بسبب إصابته بالسكري. فتولى المنصب كارل جرونبرج، الذي أسس أول مطبوعة رسمية صادرة عن المعهد بعنوان: أرشيف تاريخ الاشتراكية والحركة العمالية، والتي تضمنت أعمالًا بارزة مثل كتاب: الماركسية والفلسفة لكورش في عام ١٩٢٣م.

انضم إلى جرونبرج عدد من المفكرين الشيوعيين مثل هنريك جروسمان، وفريدريش بولوك، وفريتس شترنبرج، وكارل أوجوست فيتفوجل، الذين تأثروا بمجالس العمال

الديمقراطية بين ١٩١٨م و١٩٢١م، وكانوا يطمحون إلى بناء جمهورية ألمانية مشابهة للجمهورية السوفييتية. وقد أسهمت جهودهم الفكرية في تقديم رؤى ثرية حول انهيار الرأسمالية، ودور الدولة، وصعود الإمبريالية.

مع ذلك، شهد المعهد تحولًا جذريًا عام ١٩٣٠م، عندما تولى ماكس هوركهايمر القيادة، فقام بتشكيل الفلسفة الفكرية للنظرية التي أصبحت تُعرف لاحقًا بمدرسة فرانكفورت. (١)

ولقد مرت مدرسة فرانكفورت بخمس محطات رئيسية، تميزت كل واحدة منها بطابع فكري مختلف، يعكس تطور أعمال مفكريها وتفاعلهم مع الظروف التاريخية والاجتماعية:

المحطة الأولى (منذ نشأتها حتى عام ١٩٣٠م): تميزت هذه المرحلة بطابع ماركسي ثوري خلال إدارة كارل جرونبرج للمعهد، حيث انصب التركيز على نقد الاقتصاد السياسي، كما تجلى في أعمال هنريش جروسمان.

المحطة الثانية (مع هوركهايمر): في هذه المرحلة، برزت انتقادات المدرسة للوضعية، والتأثير الإيديولوجي للعلم والتكنولوجيا. كما تم توجيه نقد عميق للماركسية الأرثوذكسية، سواء في قراءتها النظرية أو ممارساتها التطبيقية.

المحطة الثالثة (في المهجر): خلال فترة المنفى، ركزت أعمال المدرسة على القضايا الثقافية والحياة اليومية المتباينة بين أفراد المجتمع، باعتبارها وسائل جديدة للسيطرة على الإنسان من قبل النظم المتقدمة.

---

(١) برونز، ستيفن إريك، النظرية النقدية، ترجمة سارة عادل، مراجعة: مصطفى محمد فؤاد، ط١، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٦م، ص١٧.

المحطة الرابعة (ما بعد الحرب العالمية الثانية): شهدت هذه المرحلة عودة المعهد إلى مدينة فرانكفورت الألمانية، حيث بدأت المدرسة تؤثر على الفكر الأوروبي والأمريكي. وتصاعدت اهتماماتها بقضايا التسلط والهيمنة في المجتمعات الرأسمالية، وركزت على نقد البنى السياسية والثقافية التي تهمش الطبقة العاملة وقسر الأفراد على الانسجام المرغم مع مسلماتها الضمنية، وتؤسس لهيمنة وسائل الإعلام.

المحطة الخامسة (ابتداءً من نهاية السبعينيات): قاد يورغن هابرماس هذه المرحلة، محاولًا استعادة مشروع التنوير من خلال عقلانية تواصلية تُعيد النظر في مركزية الفهم الذاتي الغربي، وإلغاء مركزية الفهم الذاتي للعالم، والتي تقيم من نفسها نموذجًا مطلقًا تقاس عليه النماذج غير المعترف بها خارج المشروع الثقافي الغربي، ودعا إلى تجاوز الاستقطاب الثقافي والاجتماعي الذي فرضته النظم الكلية الغربية، مع تعزيز الديمقراطية عبر التواصل الفعّال بين الأفراد والجماعات. (١)

من خلال هذه النشأة وتطورها عبر المحطات الخمس، يتضح أن النظرية النقدية ليست مجرد مشروع فكري ثابت، بل هي عملية مستمرة تتفاعل مع المتغيرات الاجتماعية والسياسية، وتهدف إلى نقد الواقع القائم وتحفيز التغيير. ولقد استطاعت مدرسة فرانكفورت أن تقدم إطارًا جديدًا لفهم المجتمع الإنساني، يرتكز على النزعة النقدية، وينشد بناء مجتمع أكثر عدالة وتوازنًا.

(١) بتصرف، بوتومور، مدرسة فرانكفورت، ص٢٣-٢٥.

المبحث الثالث: المؤثرات على النظرية النقدية وفيه مطلبين:

يناقش هذا المبحث المؤثرات الفكرية التي ساهمت في صياغة النظرية النقدية، بدءًا من تأثير فلسفات ماركس وكانط وهيجل، مرورًا بمساهمات فرويد، وصولًا إلى العوامل الخارجية التي أثّرت على هذه المدرسة.

المطلب الأول: بعض الأعلام المؤثرين في أعلام مدرسة فرانكفورت:

ارتبطت النظرية النقدية بتأثيرات فلسفية وفكرية سابقة استلهمت منها مبادئها واتجاهاتها، إذ استمد رواد مدرسة فرانكفورت رؤاهم النقدية من أعلام بارزين في الفكر الفلسفي والاجتماعي، تأثرت المدرسة بمصادر متباينة، تراوحت بين الماركسية النقدية وفلسفة كانط وهيجل، إلى جانب التحليل النفسي الفرويدي. وقد شكلت هذه التأثيرات الأساس الذي قامت عليه النظرية النقدية في نقدها.

الأول: تأثير فلسفة كارل ماركس.

كانت بدايات النظرية النقدية متأثرة بالفكر الماركسي، حيث عُقدت الحلقات الأسبوعية الماركسية التي مهدت لتأسيس معهد البحث الاجتماعي. ورغم عدم تسمية المعهد صراحةً بالماركسي، إلا أن الفكر الماركسي ظل جزءًا أصيلًا من توجهات المدرسة، سواء على مستوى الهوية الفكرية أو الأهداف الاجتماعية. عند تولي ماكس هوركهايمر إدارة المعهد عام ١٩٣٠م، بدأ في صف أفكاره ورؤاه ليصدر نصاً بالغ الأهمية بالنسبة للمعهد والنظرية عمومًا منذ تأسيسها حتى اليوم وهو النظرية التقليدية والنظرية النقدية، والذي حاول فيه أن يحدد معالم النظرية النقدية، وضدها النظرية التقليدية، وقد رأى أنَّ الإجابة عن ماذا يعني أن تكون النظرية الاجتماعية نظرية نقدية؟ أنه يجب أن تقدم النظرية نقدًا للحياة السياسية القائمة وذلك استعانة بالنقد الماركسي، وضع أسسًا لنظرية نقدية تعارض النظرية

التقليدية، إذ اعتبر أن النظرية النقدية لا تكتفي بتفسير الواقع بل تسعى إلى تغييره، وفقًا لوصية ماركس: "الفلاسفة فسروا العالم بطرق مختلفة، ولكن المهم تغييره. " وقد ركزت النظرية النقدية على كشف التفاوتات داخل الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية والعمل على تقويض أسس الهيمنة والاستغلال. (١)

إذًا اعتبرت مدرسة فرانكفورت الإنسان والعقل ضحيةً لتدهور العصر الحديث، فاتخذت من الماركسية وسيلة لتحليل الواقع وتغييره. وقد رأى مفكرو المدرسة في الجدل الماركسي أداة لتحرير الإنسان، فبدلًا من الاكتفاء بتفسير الواقع، سعوا إلى تغييره بما يتماشى مع المنهج الماركسي.

الثاني: **تأثير فلسفة كانط وهيجل**.

"مهما قال المؤرخون في حق تأثير الفلسفة الكانطية على التطورات اللاحقة للفلسفة الغربية، فإنهم لن يوفونها حقها كاملاً، فهي تسيطر على القرن التاسع عشر الميلادي ورغم ظهور اتجاه مضاد لاتجاهها في نهاية ذلك القرن إلا أن بعض المفكرين سيستمرون في القرن العشرين الميلادي في الخضوع لسلطانها". (٢)

يمثل النقد محورًا أساسيًا للنظرية النقدية، مستندًا إلى المنهج الكانطي الذي رسخ مفهوم النقد بوصفه قيمة أساسية، والنقد كما مارسه فلاسفة فرانكفورت يحمل تأثرهم بهيجل وبماركس ونيتشة فإنه يستمدّ أصوله من الكانطية، التي هي خلف هذه الفلسفات، ورغم استفادة مدرسة فرانكفورت من فلسفة كانط، فقد رفضت جانبه

---

(١) ينظر: المحمداوي، علي عبود، الخطاب النقدي الثقافي ومراجعة الفعل السياسي دراسة في منجز النظرية النقدية الألمانية، ب. د. ط، https: //www. iasj. net/iasj/download/aa9136cd2821c6b9 ص١٠٧-١٠٩.

(٢) بوشنسكي، إ. م، الفلسفة المعاصرة في أوربا، ترجمة: عزت قرني، ب. د. ط، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٠-١٩٢٣م، ص ٧.

الفردي لصالح الهيغلية الاجتماعية، التي أكدت المصالحة بين التناقضات داخل المجتمع. وفي الوقت ذاته، ثمن مفكرو المدرسة جانبًا من الكانطية، خصوصًا فيما يتعلق بقدرتها على إظهار التناقضات باعتبارها نتيجة حتمية للعقل. واستفادوا من هذا المنهج في بناء رؤاهم النقدية، حيث أعلوا من شأن التحليل النقدي للعقل والمجتمع الليبرالي الحديث، مما جعل الكانطية محورية في إطار النظرية النقدية. ولم يخف هوركهايمر ومنظرو جيله إنكارهم للكانطية بوصفها فلسفة تعلي من شان القيم الفردية ولذلك تم إعلاء فلسفة هيجل عليها. ولكن رفض النّتيجة التي آلت إليها الفلسفة الهيجلية، مما أدى بفلاسفة النّظرية النّقدية إلى تثمين الفلسفة النقدية بوصفها وفق عبارة هوركهايمر وأدورنو عن كانط فلسفة حذرة ونزيهة ساعدت على دفعها فعلاً إلى التفكير في الصعوبات التي وقع فيها الوعي داخل المجتمعات الليبرالية الحديثة. ويعود اعتراف فلاسفة مدرسة فرانكفورت بعظمة الفلسفة الكانطية إلى منهجها الذي لا يطمس التّناقضات بل يظهرها على أنّها المصير المحتوم للعقل، وقد حدد حكمهم هذا على الكانطية أهم مقومات المنزلة الموجبة لها في النظرية النقدية. (١)

ويستشف من خطاب هوركهايمر الذي ألقاه بمناسبة تعيينه مديرًا لمركز البحوث الاجتماعية – المسمى الأول لمدرسة فرانكفورت–، تأثير هيجل حيث أكد ماكس

(١) بتصـــرف، الخوني، محســـن، منزلة كانط في مدرســـة فرانكفورت، http: //almudwna. blogspot. com/2017/01/blog-post. html.

هوركهايمر أن فلسفة النظرية النقدية تستمد وجودها مباشرة من الوعي الهيجلي، فكان لهذه الفلسفة حضور قوي في بلورة فكر الجيل الأول من المدرسة. (١)

وعلى الرغم من تعدد مصادر النظرية النقدية، فإن فلسفتي كانط وهيجل كانتا الأكثر تأثيرًا، إذ وفرت نسقيهما الفلسفيين مساحات واسعة للتفكير والتأمل، وهما أهم متن فلسفي انطلقت منه النظرية النقدية للتجربة وممارسة نقدها، حيث مثلت الهيغلية مرجعًا أساسيًا للنقد الذي مارسه مفكرو مدرسة فرانكفورت، إن هوركهايمر وأدورنور وماركوز وآخرون في دراستهم المتعددة جعلوا من الفلسفة الهيجلية محور نقدهم لكل فلسفة، وقد جعل أدورنو من الإشكالية الفلسفية تدور بين هذين الفيلسوفين، مما أثر بوضوح على منهج المدرسة في محاورة الفلسفات الأخرى. (٢)

الثالث: تأثير الطبيب والعالم النفسي فرويد.

تطرقت النظرية النقدية إلى التحليل النفسي الفرويدي، معيدةً النظر في قضاياه ومناهجه لفهم طبيعة الإنسان وعلاقته بالمجتمع. وقد سعى مفكرو المدرسة إلى تجاوز الأخطاء المنهجية التي وقعت فيها الفرويدية، مركِّزين على الجوانب الاجتماعية المُغفلة في التحليل النفسي.

ومن أكثر فلاسفة مدرسة فرانكفورت اهتمامًا بفرويد والجانب النفسي هو إريك فروم، وقد خلق فروم مسافة نقدية تتراوح بين ماركس وفرويد لخلق توازن فلسفي إنساني يلغي تناقض وتضارب الآراء الفكرية بينهما، وناقش إريك فروم أفكار فرويد

---

(١) ينظر: مسمية، ثريا، مدرسة فرانكفورت دراسة في نشأتها وتياراتها النقدية واضمحلالها، ط١، العتبة العباسية المقدسة، النجف–العراق، ١٤٤١هـ=٢٠٢٠م، ص٨٦.

(٢) ينظر: أفاية، محمد نور الدين، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، ط٢، إفريقيا الشرق، المغرب، ١٩٩٨م، ص ٢٧، ٢٥، ٢٤.

وماركس، وتصوراتهما النظرية والتناقضات بينهما، والكيفية التي يستطيع المرء أن يتوصل بها حين يحاول أن يفهم هذه التناقضات ويلغيها. وعلى الرغم من الاختلافات بين التحليل الفرويدي والماركسي، فإن النظرية النقدية الفرومية تكشف نقاط الالتقاء والاشتراك التي تجمع الرؤيتين، ولاسيما في مسائل:

١.الشك.

٢.الحقيقة كمصدر للتحرر من الأوهام.

٣.النزعة الإنسانية.

٤.المنهجية الديناميكية والجدلية في التحليل الفرويدي والماركسي.

ويؤكد فروم كثيراً على أهمية ماركس وفرويد ودورهما التنويري في بيان أوهام العقل الغربي وآليات تزييف الوعي والحقيقة، وكشف الأباطيل ومظاهر التضليل الأيديولوجي التي حرفت الحقائق وأخفتها عن الإنسان، فالماركسية والتحليل النفسي الفرويدي هما وسيلتان لمعرفة الإنسان وتكمل إحداهما الأخرى، وإنهما معاً يشيران علينا بطرق علاجية وعلامات للتوجيه في حل المشكلات، ويدرسان ما هو لامعقول اجتماعيًا بالنسبة للماركسية وفردياً بالنسبة للتحليل النفسي. (١)

(١) ينظر: جمعة، قاســـم، النظرية النقدية عند أريك فروم، ط١، منتدى المعارف، بيروت، ٢٠١١م، ص٣٢، ٣١، ٢٩، ٢٨.

المطلب الثاني: المؤثرات الخارجية على النظرية النقدية:

لم تتشكل النظرية النقدية بمعزل عن سياقاتها التاريخية والمادية، بل تفاعلت مع أحداث كبرى وأوضاع اجتماعية واقتصادية أفرزت رؤى نقدية جديدة، وأسهمت هذه المؤثرات في صياغة استراتيجيات المدرسة ومناهجها.

١. الحرب العالمية الأولى: كشفت التناقضات الاجتماعية والسياسية التي ساهمت في تفكك المجتمعات التقليدية.
٢. الثورة البلشفية: ألهمت الطموح نحو التغيير الثوري، رغم إخفاقها في مناطق أخرى كألمانيا.
٣. النظم الفاشية والنازية: فرضت تحديات فكرية على المدرسة لمواجهة الأيديولوجيات الشمولية.
٤. الهيمنة الرأسمالية: عززت سيطرة النظم الاقتصادية على الحياة الاجتماعية.
٥. الستالينية: دفعت المدرسة إلى رفض الماركسية الأرثوذكسية وتطوير تفسير نقدي جديد.
٦. دولة الرفاهية الغربية: مثلت تحولًا في استراتيجيات الاشتراكية، ما أثر على رؤية المدرسة لقضايا التغيير الاجتماعي.

وكان نتيجة لهذه الوقائع تبلورت استراتيجيات النظرية النقدية، ومن التحولات التي طرأت على الأحزاب الشيوعية في أوربا الغربية، والذي أدى بمدرسة فرانكفورت إلى اتباع سياسة تعاون طبقي مع البورجوازية، وكذلك في التفسيرات الأرثوذكسية للماركسية التي طرحت في ظل تعاظم الستالينية، وبزوغ فكرة دولة الرفاهية في الغرب. (١)

(١) بتصرف، بوتومور، مدرسة فرانكفورت،، ص١٩.

٧. المؤثرات الثقافية والاجتماعية: ربما أيضًا من المؤثرات السمات المشتركة لأعضاء الجيل الأول حيث أنهم ينحدرون من أصول يهودية، مما منحهم شعورًا بالاغتراب عن المجتمعات البرجوازية والرأسمالية، وقد ألح عليهم ذلك الشعور الذي لازم اليهود في كل المجتمعات القديمة والحديثة التي عاشوا فيها، فإحساسهم بافتقاد الحياة الذاتية الأصيلة وسط بشر مثلهم مقهورين ومغتربين، ولعل هذا الشعور جعلهم أكثر قربًا من الطبقات العاملة، المطحونة والمغتربة عن المجتمعات العليا، واهتمامهم بتكريس قدر كبير من بحوثهم الاجتماعية لقضايا هذه الطبقة ومشكلاتها، وألوان الظلم التي تتعرض لها، مع العلم بأن معظم أعضاء المدرسة قد نشئوا في عائلات يهودية موسرة، وأن معهد البحث الاجتماعي نفسه قد أسسه وأنفق عليه بسخاء ابن مليونير يهودي هو فليكس فايل. (١)

(١) ينظر: مكاوي، عبد الغفار، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، ب. د. ط، مؤسسة هنداوي سي آي سي، ٢٠١٧م، ص١٢.

المبحث الرابع: السمات العامة لمدرسة فرانكفورت:

بسبب أزمة الإنسان وأزمة الحضارة المعاصرة، وأزمة الحداثة، وأزمة التقنية، وأزمة العلم، وأزمة العقل الأداتي، استلبت الحضارة الإنسان، فأصبح الإنسان مستلبًا، وصل الإنسان لحالة من الاستلاب أو الاغتراب عن حقيقته، بالتالي هذا الواقع لا يمثل الإنسان، فبحثت مدرسة فرانكفورت عن فلسفة تعيد للإنسان إنسانيته، وتعيد للإنسان جوهره الذي استلب من طرف العلم والحداثة والنظم السياسية والنظرية الاقتصادية والنظرية الاجتماعية.

إن المقصد الأكبر لمدرسة فرانكفورت هو تغيير الواقع نحو الأفضل، فمن الناحية الاقتصادية تضمن حقوق الناس، ومن الناحية السياسية تقضي على الظلم والاستغلال وتضمن العدالة، وأيضًا تصحح مسار الحداثة؛ لأنهم يعتقدون أن الحداثة انحرفت عن السكة التي رسمت لها من قبل الأولون.

إذًا القصد من الفلسفة الاجتماعية للنظرية النقدية دراسة الإنسان أو المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، حتى المشكلات الفلسفية التي تضمن للإنسان الحياة الصحيحة، ولها في ذلك سمات عامة وهي:

المطلب الأول: التشيؤ والاغتراب:

تكاد مقولة التشيؤ والاغتراب أن تكون إطارًا مرجعيًا لمعظم الأفكار التي يطرحها فلاسفة مدرسة فرانكفورت، ونواة مركزية يدور حولها الجانب الأكبر في مناقشاتهم وتحليلاتهم للمجتمع الرأسمالي والصناعي العقلاني الحديث، وتعبر هذه المقولة في أبسط أشكالها عن أن المجتمع والبشر ليسوا في واقع حياتهم ما يمكن أن يكونوه بحسب ماهيتهم وإمكاناتهم؛ ذلك أنهم في الحقيقة مغتربون عن هذه الإمكانات وتلك الماهية، فالمجتمع الصناعي المتقدم الذي ينصب عليه حديثهم في هذه المقولة يكشف عن اغتراب الإنسان وتشيئته في ظواهر عديدة ومتنوعة، من هذه الظواهر أن الإنسان قد تحول في ظل علاقات العمل الصناعية والرأسمالية إلى مجرد عنصر أو جزء ضئيل من جهاز الإنتاج الهائل الذي تحدده الميكنة، وصار عجلة صغيرة مجهولة قابلة لأن يستبدل بها غيرها داخل العالم التقني الضخم الذي يصعب الإحاطة بشبكته المعقدة أو بالقوى التي تحرك خيوطه. فالإنسان واقع تحت ضغط الآلات التي تفرض عليه ألوانًا من السلوك النمطي الرتيب، وتسد عليه منافذ المبادرة الشخصية الحرة، وتعوق تحديده لذاته، وتخنق فاعليته الخلاقة. إضافة إلى هذا ظاهرة توضح مدى اغتراب الإنسان في المجتمع الصناعي الحديث، وهي توحيد الحاجات البشرية وتقنين أنماط السلوك أو التشوية بينها عن طريق عملية الإنتاج السلعي الضخم وصناعة التسويق والاستهلاك على أوسع نطاق، ويصور للإنسان الفرد من خلال شركات الإنتاج ووكالاته التي لا حصر لها، ومن خلال الثقافة الإعلامية أن أنماط السلوك الموحدة وحدها الأنماط الطبيعية المحترمة المعقولة. وقد تتبع بعض ممثلي النظرية النقدية ظاهرة الاغتراب والتشيؤ على الفن والإبداع، وبينوا كيف انحط العمل الفني في ظل المجتمع الصناعي وظروف صناعة

الثقافة وعملائها وأجهزة إنتاجها والإعلام عنها، إلى حضيض السلعة في سوق الاستهلاك والمزايدة، مما أفقده أصالته وشموله وفعله المباشر في القلوب والعقول، بحيث أصبح مجرد شيء للاستمتاع السطحي والتسلية في أوقات الفراغ، ولم يبق أثر للعلاقة الحية بالعمل الفني.

ويحدد أصحاب النظرية النقدية سبب نشوء التشيؤ والاغتراب إلى النظام الاقتصادي الرأسمالي، فعلاقات الإنتاج والسوق الرأسمالية هي المسؤولة عن عبادة السلع التي أضفت على علاقات الناس بالأشياء وببعضهم بعضًا طابع السلعة، وحصرتها في نطاق المنافع والوسائل المجردة من كل لمسة شخصية أو إنسانية، إضافة إلى ذلك تقسيم العمل الموغل في التخصص خلال عملية الإنتاج وميكنة العمل نفسه وبيروقراطية الإدارة، وصناعة الدعاية والإعلام ووسائطهما الجماهيرية وغيرها، مما أدى إلى اغتراب الإنسان المعاصر في ظل المجتمعات الصناعية المتقدمة، والواقع أن النظرية النقدية تختلف في هذه النقطة اختلافًا أساسيًا عن وجهة النظر الماركسية التي ترجع الاغتراب لأسباب اقتصادية محضة، كما تجعل القضاء عليه مرهونًا بالقضاء على الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج. (١)

(١) ينظر: مكاوي، عبد الغفار، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، مرجع سابق، ص ١٨-٢٠.

المطلب الثاني: العقل الأداتي أو العقلانية التقنية:

إحدى أفكار فلاسفة النظرية النقدية ما يسمى بالعقل الأداتي أو العقلانية التقنية ويطلقون عليه كذلك اسم العقل الذاتي والتقني والشكلي، وهو نوع من التفكير السائد في المجتمع الصناعي الحديث، ويصفونه على لسان ماركوز في كتابه الشهير بالتفكير ذي البعد الواحد، ويتضح هذا التفكير بأجلى صورة في أسلوب التفكير العلمي والتقني، كما تعبر عنه الفلسفة الوضعية بأشكالها المعاصرة والفلسفة البراجماتية العملية. وهذه السمة تعبر عن نفسها في صورة منطق السيطرة الكامن في أسلوب التفكير العلمي والتقني الحديث، كما يعبر هذا الأسلوب بدوره عن إرادة السيطرة التي تميزه ولا تنفصل عنه، ويمثل نوعًا من القبلي التقني الذي ينظر للطبيعة ويتعامل معها بوصفها مجالاً للوسائط أو الوسائل الممكنة، ومادة للتحكم والتنظيم، ثم يمد سلطانه على البشر والعلاقات البشرية فيضعها أيضًا تحت تصرفه وتحكمه وسيطرته، بحيث لا يكون للعقل في النهاية إلا طابع أداتي، وتصبح قيمته الإجرائية ودوره في إحكام السيطرة على البشر وعلى الطبيعة هو المعيار الأوحد.[1]

(١) ينظر: المرجع السابق، ص٢١-٢٢.

المطلب الثالث: القمع والتسلط في المجتمعات الصناعية المتقدمة:

القمع والتسلط الذي يطبع على المجتمع الصناعي المتقدم من أهم المقولات التي تؤكدها وتنقدها النظرية النقدية، ويرجع في ترويج هذه المقولة والإلحاح عليها لهربرت ماركوز الذي حاول أن يجد لها مبررًا معقولاً من كتابات فرويد عن فلسفة الحضارة وفلسفة التحليل النفسي بوجه عام، فقد استند إلى زعم فرويد أن التطور الاجتماعي والحضاري الذي حققته البشرية لم يتم إلا بالقمع المستمر للدوافع والحاجات الإنسانية الأولية، ويسري هذا القمع أو الكبت الضروري على تطور شخصية الفرد، إذ لا بد لكل إنسان أن يتعلم منذ طفولته كيف يتحكم في دوافعه المتجهة بطبيعتها لإشباع حاجته إلى اللذة والسعادة إشباعًا لا حد له لكي يتسنى له المحافظة على بقائه والتعايش مع غيره. ومن هنا يكون احترام القواعد والنظم الاجتماعية على الدوام نوعًا من القمع الواعي أو غير الواعي للدوافع والرغبات والحاجات الأولية. ويزيد ماركوز على فرويد فيذهب إلى أن هذا القدر الضروري من قمع الدوافع في المجتمعات البشرية قد أضيف إليه قدر آخر غير ضروري أو فائض من القمع الذي فرضته مصالح السلطة الحاكمة ومؤسساتها وتنظيماتها، والمجتمعات الصناعية الحديثة لا تستثنى من هذه القاعدة، إذ تحولت إلى نظام شامل للقمع والهيمنة والسيطرة، وعرضت الإنسان لأشكال مختلفة من القهر الظاهر والباطن، والقمع الواعي أو غير الواعي الذي ينطلق من أجهزة الإنتاج الضخمة، والمؤسسات الإدارية والبيروقراطية والاستهلاكية والإعلامية التي تشبه آلات هائلة يحاول الناس أن يتكيفوا مع ضغوطها ومطالبها، ويضطرون في سبيل ذلك إلى قمع طبيعتهم، بل يبلغ بهم الأمر في كثير من الأحيان إلى عدم الإحساس بالقمع الذي تمارسه عليهم تلك الأجهزة التقنية المخيفة التي تتحكم حتى في حياتهم

الخاصة، فتشكل دوافعهم، وتوحّد أنماط سلوكهم، وتخلق فيهم حاجات مادية وروحية زائفة، يشبعها مجتمع الاستهلاك والرفاهية بكافة السبل، فيتوهمون أنهم يحيون حياة سعيدة هانئة، في الوقت الذي تطيل فيه أمد عبوديتهم وشقائهم، وتضاعف القهر غير الضروري لدوافعهم وحاجاتهم الحقيقية. وواقع الأمر أن القوى المسيطرة على تلك المجتمعات هي التي أوحت إليهم بالحاجات المزيفة؛ لتحقيق مصلحتها في إقرار الأوضاع القائمة، مستعينة على ذلك بوسائط الإعلام وتقنيات التأثير على الجماهير التي استطاعت أن تشكل إحساسهم الفردي بالسعادة كما شكلت حاجاتهم الأولية ووحدتها وأخضعتها لمطالب الاستهلاك وصناعة اللذة والتسلية والرفاهية. وأخطر ما في الأمر أن الناس يستسلمون لهذه الأوضاع ويقاومون أي محاولة ثورية لتغييرها، متصورين أن هذا التغيير ضد مصالحهم لا ضد مصالح القوى المسيطرة عليهم. (١)

(١) ينظر: مكاوي، عبد الغفار، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، ص٢٣-٢٤.

المطلب الرابع: الطابع الثوري للنظرية:

"الطابع الثوري للنظرية ومن أبرز خصائص النظرية النقدية أنها نظرية ثورية، فهي تريد أن تكون بديلاً عن النظرية التقليدية التي تقر الواقع القائم بحكم موقفها النظري وأسلوبها في التفكير؛ ولذلك يوجه أصحاب النظرية انتقاداتهم الحادة للاتجاهات الفلسفية الأخرى كالوضعية والبرجماتية، ومناهج التفكير العلمي المتفق عليها، وأوضاع المجتمع الصناعي الذي يسلطون عليه النقد الجذري الشامل كما رأينا قبل قليل. وهم يعبرون من خلال هذا النقد عن مطالبتهم بتغيير هذا المجتمع من أساسه تغييرًا ثوريًا لا يقتصر على أشكاله وتنظيماته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، بل يمتد إلى بنية التفكير والمواقف والحاجات واللغة التي يستخدمها الناس في ذلك المجتمع، وتظهر هذه الروح النقدية الجذرية أوضح ما تكون عند ماركوز. "(١)

المطلب الخامس: أنماط المعرفة والمصالح الموجهة لها:

"ويعبر آخر هذه الخصائص المميزة للنظرية النقدية عن مقولة كثرة الجدال حولها، وتتعلق بالمصالح التي توجه المعرفة في عمليات البحث العلمي، ويرجع الفضل في بيان هذه المقولة لهابرماس وإن يكن هوركهايمر هو أول من تنبه إليها وصاغها صياغة مبدئية في مقاله المبكر عن النظرية التقليدية والنظرية النقدية الذي نشره سنة ١٩٣٧ م، ويحدد هابرماس في إطارها ثلاثة أنماط من العلوم أو بالأحرى من أساليب التفكير العلمي، وهي العلوم التجريبية والتحليلية، والعلوم التاريخية والتفسيرية (الهيرومينويطيقية) وعلوم الفعل والسلوك المنهجية، ويقابل هذه الأنماط الثلاثة من

(١) مكاوي، عبد الغفار، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، ص٢٤

العلوم ثلاثة أنواع من المصالح الموجهة بصورة متعالية لعملية المعرفة والمحددة لطبيعة المعارف والنظريات في هذه العلوم، بحيث تناظر العلوم التجريبية والتحليلية مصلحة معرفية تقنية تتصرف دائمًا في الواقع من وجهة نظر تقنية، وتكفل نجاح السلوك في مختلف المواقف، كما تناظر العلوم التاريخية والتفسيرية مصلحة معرفية علمية تضمن التفاهم القائم على العمل بين الذوات المشتركة.

أما علوم الفعل والسلوك المنهجية كالاجتماع والاقتصاد والسياسة فتتجه لتحقيق مصلحة من نوع آخر، هي تحرير الإنسان من ألوان القهر الفطرية وتمكينه من الخلاص منها بمساعدته على بلوغ الرشد عن طريق التأمل الذاتي المستقل. هذا التصور للمصالح الحياتية والعملية التي توجه أنماط المعرفة العلمية يبدو للوهلة الأولى شديد الجاذبية، إلا أن النظرة المتأنية تكتشف غموضه والتباس معانيه، فضلاً عن أنه لا يجيب إجابة شافية عن كثير من الأسئلة المتعلقة بطبيعة تلك المصالح الموجهة للمعرفة ودورها الفعلي في المعرفة العلمية. وأخيرًا فإن هابرماس لا يوضح طبيعة المقولات التي تدخل فيها المصالح الموجهة للمعرفة، وهل هي مقولات تجريبية (سيكولوجية وأنثروبولوجية) أم مقولات متعالية؟ وهل تحدد تكوين المعارف العلمية ونشأتها منذ البداية أم يقتصر دورها على تبرير صدقها وتفسير قيمتها؟ ". [1]

(١) مكاوي، عبد الغفار، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، ٢٥-٢٦.

المبحث الخامس: بعض الأعلام البارزين في مدرسة فرانكفورت:

المطلب الأول: ماكس هوركهايمر.

ماكس هوركهايمر يعتبر من مؤسسي مدرسة فرانكفورت والداعم لها، (١٨٩٥-١٩٧٣م)، وُلد في شتوتغارت كابن لصناعي يهودي يدعى موريتس هوركهايمر. تلقى تعليمه في بروكسل ولندن بين عامي ١٩١٣ و١٩١٤ حيث درس الفرنسية والإنجليزية برفقة صديقه فريدريك بولوك. واصل تعليمه في جامعات ميونيخ، وفرايبورغ، وفرانكفورت، حيث اتجه إلى علم النفس بدايةً، قبل أن ينتقل إلى الفلسفة بعد تعمقه في أعمال شوبنهاور وكتابته أطروحته حول فلسفة كانط بعنوان "مساهمة في تناقض ملكة الحكم الغائية" في عام ١٩٢٢م. وخلال الحرب أدار مدارس الفنون الجميلة في ميونيخ وأعد دراسة حول قوانين الرسم الأساسية. وفي عام ١٩٣١م تولى رئاسة المعهد بعد تعيينه أستاذًا للفلسفة الاجتماعية، وهو المنصب الذي أُنشئ خصيصًا له عام ١٩٢٩م. ومع وصول النازية إلى السلطة في ١٩٣٣م، أُغلق المعهد لمعارضته الأيديولوجية للدولة، مما أدى إلى نفي هوركهايمر إلى جنيف حيث أدار ملحق المعهد. لاحقًا افتُتحت ملحقات صغيرة للمعهد في باريس بدعم من مفكرين مثل دوركهايم وبوغلي وهالبواش وبرغسون. واهتم اهتمامًا شديدًا بالمدرسة ولأجل ذلك عاد هوركهايمر إلى ألمانيا عام ١٩٤٨م، واستعاد كرسيه الجامعي في يوليو ١٩٤٩، وأعاد افتتاح المعهد عام ١٩٥٠م. واهتم أيضًا بالفلسفة فشغل منصب عميد قسم الفلسفة ورئيس الجامعة بين عامي ١٩٥١ و١٩٥٣. وفي عام ١٩٥٤ انتقل إلى الولايات المتحدة كعضو في جامعة شيكاغو وحصل على الجنسية الأمريكية، مع بقائه على صلة بالمعهد في فرانكفورت وملحقه الأمريكي.

اكتسب هوركهايمر شهرة واسعة خلال الفترة من ١٩٦٧م إلى ١٩٧٠م بعد إعادة نشر مؤلفاته وإصدار نقد موسع حول أعماله وأعمال مدرسة فرانكفورت. (١)

يُعتبر هوركهايمر أحد المفكرين الأوائل للفلسفة النقدية، حيث ركز اهتمامه على الجانب المعرفي لهذه الفلسفة، وانطلق من فكرة أن العقلانية كإيديولوجيا قائمة على يقين معرفي محدد تحتاج إلى تفكيك نقدي لاكتشاف تناقضاتها، ولتحقيق ذلك اقترح أسس أساسية وهي:

١. تحليل المصالح الاجتماعية الكامنة في كل نظرية من خلال استخدام النقد لكشف أبعادها الاجتماعية.
٢. تأسيس وتطوير فهم جدلي للذات الإنسانية يتجاوز وصف التحولات التاريخية للحاضر، مع إبراز قدرتها على التأثير في صراعات العصر.
٣. إدراك أن النظرية النقدية ليست خارج التطور الاجتماعي، بل هي انعكاس لمصالح الأغلبية الاجتماعية، فتسعى إلى تنظيم العلاقات الإنتاجية بما ينسجم مع العقل والواقع عبر ربط النظرية بالممارسة.
٤. مواجهة مختلف أشكال العقلانية والتي تستخدم العقل كأداة لدعم المصالح الاجتماعية السائدة.
٥. الكشف في كل نظرية عن المصلحة الاجتماعية التي ولدتها، عن طريق استخدام التحليل الناقد، من أجل النفاذ الى أعماقها في العلاقات الاجتماعية التي تتضمنها.

(١) ينظر: آسون، بول لوران، مدرسة فرانكفورت، ترجمة سعاد حرب، ط٢، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٥هـ=٢٠٠٥م، ص١٤-١٦.

٦. التصدي لمختلف الأشكال اللاعقلانية الزائفة التي وظّفتها الطبقات المهيمنة لتكريس النظام الرأسمالي، التي حاولت المصالح الطبقية السائدة أن تلبسها للعقل، وأن تؤسس اليقين بها على اعتبار أنها هي التي تجسده، في حين أن هذه الأشكال من العقلانية المزيفة ليست سوى أدوات لاستخدام العقل في دعم النظم الاجتماعية القائمة. (١)

كتاب جدل التنوير لهوركهايمر وأدورنو:

كانت العقود الأولى من تاريخ مدرسة فرانكفورت تحت قيادة هوركهايمر من عام ١٨٩٥م حتى ١٩٧٣م الذي أبرز الطابع الماركسي الفرويدي في أعمال المدرسة، بالإضافة للتوجه النقدي الراديكالي ولكن هذا الطرح لم يلزم كل الأعضاء في البحوث والدراسات مما ساهم في خلق تعددية نسبية داخل المدرسة.

أيضًا ساهم في تمايز هوركهايمر وأدورنو رغم التقاءهما في مبادئ النظرية النقدية وأهدافها، فلقد تحول هوركهايمر من ممثل لاتجاه اجتماعي علمي تقدمي إلى ناقد راديكالي للنظم الليبرالية المثقلة بالبيروقراطية ويرى أنها تستجب للحضارة المعاصرة إلى إخفاق ضخم تحت لواء الرأسمالية. أما أدورنو فقد بدأ من حيث انتهى هوركهايمر وانطلق من الفلسفة التاريخية لعرض الإخفاق الحضاري الغربي الذي كان من نتائجه ظواهر مثل العداء للسامية وينتقد أدورنو هذا العداء لأنه يهودي أولاً ولأنه ينتمي للنخبة اليسارية الألمانية التي كانت تلاقي الاضطهاد ثانيًا ولذا تحول لطرح تساؤلات ذات طابع وجودي تحت فلسفة الهوية أو العقل التماثلي.

لا بد أن نشير إلى أن كلمة الجدل في كتابهما جدل التنوير لا تستخدم للمعنى الهيجلي ولكن أدورنو وهوركهايمر يريدان بها لفت الانتباه إلى الجوانب المتباينة للطابع العقلي والتنويري والنقدي في الفكر الفلسفي في عصرنا الراهن، فقد تم بين العقلانية والتقدم مما أدى لاتخاذ العقل موجهًا له في كل خطواته أملاً في تحقيق التقدم في العلوم الطبيعية

(١) بتصرف، بوتومور، مدرسة فرانكفورت، ص٢٠-٢١.

والاكتشاف التكنولوجي فأصب العقل أداة للتحكم في الطبيعة والبشر والعلاقات القائمة بينهما لتحقيق هذا التقدم المزعوم.

إسهامات هوركهايمر في تطوير مدرسة فرانكفورت ضمن إطار المعهد:

شهدت الفترة التأسيسية لإدارة هوركهايمر للمعهد إصدار العمل الأكاديمي الأول تحت رعايته، وهو كتاب فرانتس بوركيناو (١٩٠٠–١٩٥٧) بعنوان "الانتقال من الرؤية الإقطاعية إلى النظرية البرجوازية في فهم العالم". ورغم أن بوركيناو، الذي كان مشاركًا ثانويًا في أرشيف المعهد، قد عمل على هذا المشروع لسنوات بدعم مؤسسي من المعهد، إلا أن الكتاب لم يُعبر بشكل مباشر عن أولويات هوركهايمر الفكرية. ومع ذلك، أبرز هوركهايمر في مقدمته التحريرية للكتاب ارتباطه بالاتجاهات البحثية الجديدة للمعهد، مُشيرًا إلى أن دراسة بوركيناو للعلم الطبيعي الثوري في الحقبة البرجوازية قد ناقشت الإشكالية المركزية المتعلقة بالتفاعل بين البنى الاقتصادية والمنتوج الثقافي والعقلي.

غير أن الهوية الفكرية للمعهد تجلّت بوضوح أكبر في الإصدار التالي بعنوان "دراسات في السلطة والأسرة"، الذي نُفذ تحت الإشراف المباشر لهوركهايمر، بدءًا من التصوّر النظري وصولًا إلى الإنتاج النهائي. ومن الجدير بالذكر أن تصور هوركهايمر لعلاقة النظرية بالممارسة في هذه المرحلة المبكرة ظلّ يفتقر إلى الاتساق المنهجي؛ حيث اعتبر أن أعمال المعهد تحمل قيمة علمية متميزة، لكنه لم يَرُق إلى اعتبارها أداة سياسية طبقية قابلة للتطبيق الميداني. وبالتالي يبدو التكامل بين الجانب النظري والتطبيقي في هذه المرحلة وكأنه عملية أحادية الاتجاه، تُعلي من شأن الإنتاج الفكري دون انخراط مباشر في الصراعات الاجتماعية الواقعية.(١)

(١) بتصرف: محمد، رمضان بسطويسي، علم الجمال لدى مدرسة فرانكفورت أدورنو نموذجًا، ط١، مطبوعات نصوص٩٠، القاهرة، ١٩٩٣م، ص٤١–٤٤.

المطلب الثاني: تيودور فيزنغروند أدورنو.

أدورنو تيودور فيزنغروند ولد في فرانكفورت ١٩٠٣م وتوفي عام ١٩٦٩م، وهو فيلسوف موسيقي وعالم اجتماع ألماني، تابع دراسته في الفلسفة وتاريخ الموسيقى في جامعة فيينا وأصبح مدير تحرير مجلة أنبراش المتخصصة بالموسيقى.

أجبره الصعود النازي على الهجرة فتوجه إلى باريس وأوكسفورد ثم ذهب إلى الولايات المتحدة الأميركية وساهم بمهمات تعليمية في عدة جامعات وعين مدير القسم الموسيقي في جامعة برنستون. وعند رجوعه إلى فرانكفورت سنة ١٩٤٩م التزم التأليف في الفلسفة وعلم الاجتماع والموسيقى ومن مؤلفاته: أطروحة عن كيركغارد، جدلية التنوير بالتعاون مع ماكس هوركهايمر، المجتمع ونقد الثقافة، الشخصية المستبدة، الجدلية السلبية. (١)

وقد ارتبط المشروع الفلسفي لأدورنو بالمشروع الجمالي، بل تعد نظريته الجمالية تطبيقًا لكثير من رؤاه الفلسفية التي تكونت لديه على مرحلتين:

الأولى: التي اشترك فيها هوركهايمر في تقديم دراسات تقدم نقدًا للفكر الفلسفي السابق عليهما والمعاصر لهما مما مكنهما بعد لك من تقديم الصيغة الفلسفية المقترحة لمدرسة فرانكفورت.

الثانية: التي قدم فيها كتابه جدل السلب وساهمت أيضًا في انجاز المرحلة الثالثة التي قدم فيها كتابه النظرية الجمالية. (٢)

---

(١) بتصرف: ألفا، روني إيلي، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، مراجعة: جورج نخل، ط١، دال الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ=١٩٩٢م، ٦٥/١.

(٢) بتصرف: محمد، رمضان بسطويسي، علم الجمال لدى مدرسة فرانكفورت أدورنو نموذجًا، مرجع سابق، ص٤١.

وأدورنو صاحب فكر مميز، سبق هربرت ماركوز بأشواط فأراد أن يقارب ويقارن بين التأمل الكلاسيكي الألماني الفلسفي والتاريخي والاجتماعي وبين تعاليم التحليل النفسي والماركسية، هذا ما يضفي مسحة من الفرادة على دراسته في كتاب الشخصية المستبدة حيث يحاول أن يفحص العلائق بين مناهضة السامية وبين ما يسميه التناذر المستبد وهو مجموعة الأحكام المنتشرة في البورجوازية في البلاد الرأسمالية المتقدمة. أمّا من الناحية الاجتماعية فقد ركز أدورنو انتباهه على مشاكل مجتمع الاستهلاك الثقافي والموسيقي وأراد تأسيس سوسيولوجيا للإبداع الموسيقي.(١)

وفي الفن أنشأ أدورنو مفهوم محتوى الصدق باعتباره معيارًا لتحديد القيمة الجمالية للأثر الفني، وأعاد إنتاج المفاهيم الماركسية في علم الجمال، ومقاييس فحص هذا الأثر، وطاقة النفي والسلب فيه وامتداداتها، ووظائفه الراديكالية داخل النظم الشمولية بأجهزتها الاعلامية وثقافتها الجماهيرية. (٢)

وبعد بيان مدير المعهد هوركهايمر ورفيقه ومساعده أدورنو، يجب أن نضيف رفاق الطريق وهم شخصيات ارتبطت بصلة وثيقة تقريبًا بالمدرسة، كونها ساهمت في التطوير النظري لمبادئها ولمناهجها، حتى لو كان ذلك انطلاقاً من مبادئ خاصة لا بل متنافرة، ومن أجل طموحات مغايرة. وفي هذه الفئة ورغم اختلاف الأنماط الشديد يبرز هربرت ماركوز ووالتر بنيامين وإريك فروم. (٣)

(١) بتصرف: ألفا، روني إيلي، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، مرجع سابق، ١/٦٥-٦٦.
(٢) بتصرف، بوتومور، مدرسة فرانكفورت، ص٢٣.
(٣) انظر: آسون، بول لوران، مدرسة فرانكفورت، مرجع سابق، ص١٨ وما بعدها.

المطلب الثالث: هربرت ماركوز:

هربرت ماركوز ولد في برلين عام ١٨٩٨م وتوفي عام ١٩٨٩م وهو فيلسوف أميركي ألماني الأصل. بعد أن أكمل دراسته في جامعتي برلين وفريبورغ غادر ألمانيا عام ١٩٣٣م متوجهًا إلى الولايات المتحدة الأميركية، درس في جامعة كولومبيا (١٩٥٠م-١٩٥٢م) وهارفرد (١٩٥٢م- ١٩٥٤م) ثم بوسطن حتى عام ١٩٦٥م. ثم أصبح أستاذًا للفلسفة والسياسة في سان دييغو في كاليفورنيا.

له مؤلفات عديدة منها: الثقافة والمجتمع، دراسات في السلطة والأسرة (بالاشتراك مع أدورنو)، العقل والثورة: هيغل وصعود النظرية الاجتماعية، إيروس والحضارة: فحص فلسفي عن مذهب فرويد، الماركسية السوفياتية تحليل نقدي، الإنسان ذو البعد الواحد، البعد الجمالي نحو نقد الجمالية الماركسية.

وفي فلسفة ماركوز تأثيران أساسيان يميزان فكره وهما: دروس هايدغر الذي تتلمذ له، ودراسة الهيغلية التي استقى ماركوز منها لصياغة شهادته في الدكتوراه.

وبعد أن تزود ماركوز بالنقد الإيديولوجي، حاول أن يطبقه في كتاب مخصص للماركسية السوفياتية فأخذ على روسيا أنهم شددوا على المادية وأهملوا التاريخ، فنتج عن ذلك تقهقرًا لدور التناقضات التاريخية أمام الحتمية وانتهازية التكنوقراطيين، والحال أن ماركوز يعتبر أن تفسير التناقضات يجب أن يكون على العكس مفتاح كل فلسفة سياسة ذات إلهام ماركسي.

أيضًا طبق فلسفته في نقد الولايات المتحدة الأميركية، فالمجتمع الأميركي كان يبدو له وكأنه مكون من التناقضات العميقة، ذلك لأن نظام الإنتاج فيها لم يعد يميل كما في السابق إلى إرضاء الأولويات الجوهرية، بل أصبح نظام مجتمع يهدف إلى زيادة الإنتاجية لحاجات جديدة وثانوية يتفانى المجتمع في إظهارها ضرورية وأساسية، ومن هنا ينتج ظهور بُنى اجتماعية توحد الأفراد بقوة. والأمر الذي لا لبس فيه هو أن القمع الذي انبثق

منه الوضع البروليتاري في بداية العصر الصناعي لم يعد مقصودًا ولم يعد طرحًا قابلاً للبحث عند ماركوز. والواقع أن التصور القديم لصراع الطبقات بكل ما يحمله من كره وفقر يميل إلى الاندثار، لتحل محله صور أخرى للسيطرة والقمع أكثر مكرًا وخداعًا، فمنذ الحرب العالمية الثانية، حصل اختفاء لمجموعات إنتاجية ضخمة حيث بدل كل الأفراد أكانوا مدراءً أو أجراء فتم تحويلهم إلى مجرد أجهزة وآلات، وعلى حلول الحاسبات الآلية التي أخذت على عاتقها الإدارة والقرار محل الأدمغة الإنسانية الخلاقة.

ولكن المشكلة التي تعاني منها أمريكا بنظر ماركوز هي أكثر تعقيدًا من كل هذا، فبما أن المطلوب دائمًا هو تنشيط الاستهلاك وبما أن الاستهلاك لا يمكن أن ينمو إلا بمساندة جهاز إعلاني ضخم، نرى أن النظام الاقتصادي والسياسي يتجه نحو استغلال حقيقي للذكاء والعبقرية الإنسانية.

إن الصحافة ووسائل الدعاية والشاشات الفضية أصبحت جميعها وسائل نقل لفن ما في الحياة، مقولب تتعمق تحت تأثيره الامتثالية. بالإضافة إلى ذلك فإن النظام هذا لم يكتف بالسيطرة على كل الحياة الصناعية بل مد جسوره ليؤثر في العالم السياسي. والحقيقة أن الجهاز العظيم الموضوع تحت تصرف الأحزاب يبدو وكأنه يستعمل لفبركة الانتخابات، وليس لتقديم وسيلة تعبير مستقلة للمواطنين، فالحملة الإعلامية التي ترافق صعود مرشح ما هي إلا نفس الوسائل يستعملها وكلاء معجون أسنان ليعلنوا عن بضاعتهم، ولو كان المواطن الأميركي واعيًا وشفافًا، لشعر بأنه مخدوع باستمرار وبأنه لا يمارس سوى حرية واهية.

هذه هي إذن التناقضات التي ظهرت في المجتمع الأميركي بفعل اتباع نظام الحياة ذات البعد الواحد المبني على العقلانية الخاطئة المستلهمة مبادئ الاقتصاد الرأسمالي. [1]

(١) ينظر: ألفا، روني إيلي، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، مراجعة: جورج نخل، ط١، دال الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ=١٩٩٢م، ص٤٣٥-٤٣٧.

المطلب الرابع: والتر بنيامين.

والتر بنيامين ولد في برلين عام ١٨٩٢م والده أميل بنيامين، صيرفي ثم تاجر أثريات وبائع آثار فنية، ووالدته ابنة تاجر يهودي كبير.

تابع دروسًا في جامعة برلين١٩١٢م وفي جامعة فرايبورغ ١٩١٣م درس الفلسفة فيها، وفي فترة الحرب ناضل في حركة الطلاب الأحرار.

اكتشف بنيامين الماركسية من خلال قراءته للوكاش، وتعرفه إلى آسيا لاسيز مديرة المسرح الروسي، التي عرفته على حلقة أصدقائها الماركسيين. وفي عام ١٩٣٥م قبل بنيامين كعضو دائم في معهد الأبحاث الاجتماعية، في حين كان هو نفسه والمعهد منفيين في باريس، وكان قد تعرف في فرانكفورت إلى هوركهايمر وأدرنو وعمل بالأخص مع أدرنو.

ونشر مؤلفاته بأسماء مستعارة رافضًا لوقت طويل أن يترك أوروبا إلا أنه لم يتمكن فيها بعد من الحصول على تأشيرة دخول لإنجلترا ليلحق بعائلته، واعتقل لمدة ثلاثة أشهر عند إعلان الحرب في معسكر للعمال المتطوعين في نيفر. وفي عام ١٩٤٠م وبعد حصوله على تأشيرة دخول للولايات المتحدة بفضل مساعدة أدرنو، لحق بجماعة من اللاجئين للعبور إلى أسبانيا، إلا أن قاض أسباني هدده بتسليمه فسمم نفسه ومات. (١)

(١) ينظر: آسون، بول لوران، مدرسة فرانكفورت، مرجع سابق، ص٢٠-٢٢.

المطلب الخامس: إريك بينشاس فروم.

ولد عالم النفس والفيلسوف الأمريكي ذو الأصول الألمانية إريك بينشاس فروم بمدينة فرانكفورت في ٢٣ مارس ١٩٠٠م، في أسرة يهوديّة، وهو الطفل الوحيد لوالديه اللذين أرادا منه أن يكون حاخامًا.

بعد حصوله على شهادة الأبيتورب التي تعادل البكالوريوس، درس القانون بمدينة هايدلبرغ، ثمّ انتقل إلى دراسة علم الاجتماع، ليصبح التلميذ المباشر لألفريد فيبر عالم الاجتماع الألماني المعروف.

درس أيضًا الفلسفة ليحصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة، ثمّ انصرف إلى التحليل النفسي برفقة أستاذته المحللة النفسيّة الألمانيّة الشهيرة فريدا رايخمان التي أضحت زوجته سنة ١٩٢٩م، وخرج في نفس السنة من الدين اليهودي لاعتبارات شخصية، ثمّ تعلّم على فيلهيلم فيتينبيرغ بمدينة ميونيخ.

كان فروم من بين مؤسسي المعهد الألماني الجنوبي للتحليل النفسي الذي رأى النور سنة ١٩٢٩م بمدينة فرانكفورت، ليلتحق سنة ١٩٣٠م به، وسمي المعهد بعد ذلك بمدرسة فرانكفورت.

ومع سنة ١٩٣٤م اضطرَّ إريك فروم إلى مغادرة التراب الألماني نتيجة وصول النازية للحكم، فهاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث استقرَّ هناك وحصل على الجنسية الأمريكية، واشتغل محللاً نفسيًا وأستاذًا محاضرًا في عدد من الكليات وخاصة المدرسة الجديدة للبحث الاجتماعي.

لم تكن حياته مستقرّة، فقد تزوّج مرّات عدّة، واضطرّ للتنقّل بين الولايات المتّحدة الأمريكيّة والمكسيك، ثمّ انتهى به المطاف إلى سويسرا حيث توفّي. وكانت له تجربة

سياسيّة مع الحزب الاشتراكي الأمريكي منذ سنة ١٩٦٠م، وكان التزامه ضدّ حرب الفيتنام سببًا مباشرًا في شهرته.

ألف كتبًا من أهمها: الخوف من الحريّة عام ١٩٤١م، التحليل النفسي والدين في ١٩٥٠م، اللغة المنسيّة: مدخل إلى فهم الأحلام والحكايات والأساطير سنة ١٩٥١م، رسالة سيغموند فرويد: تحليل لشخصيّته وتأثيره في ١٩٥٩م، أزمة التحليل النفسي: مقالات عن فرويد وماركس وعلم النفس الاجتماعي عام ١٩٧٠م، الامتلاك أو الوجود سنة ١٩٧٦م.

ولقد قام إريك فروم بمراجعة نظريّة الغرائز الفرويدية ليعوضها بنظرية العلاقة النمطية، وهي نظرية لم ترق لهوركهايمر وماركيز وأدورنو، فانتقدوها وكان ذلك سببًا في عزل فروم سنة ١٩٣٩م من مدرسة فرانكفورت على الرغم من التزام العمل مدى الحياة الذي كان قد وقعه مع هذه المدرسة.

وتعود أبحاث فروم إلى محاولته التوفيق بين مقتضيات المنهج الفرويدي، القائم على دراسة الفرد وبنائه النفسي، وبين المنهج الماركسي المرتكز أساسًا على تناول المعطيات الاقتصادية والاجتماعية، وهو يرى أنَّ محدد السلوك الإنساني لا يعتمد تكوين الفرد الغرائزي، وإنّما يخضع للظروف والمؤثرات المحيطة به.

لم يكن فروم محللاً نفسيًا فقط، بل درس السوسيولوجيا وجمع بينها وبين التحليل النفسي، بين ما هو فردي وما هو مجتمعي في تخصص قائم بذاته سمي بالتحليل النفسي السوسيوسيكولوجي.

كان على فروم في إطار عمله هذا أن يبحث مدى تأثير النفس الإنسانية في الحياة الاجتماعية وبأية طريقة يتم هذا التأثير، ولذلك قام فروم سنة ١٩٢٩م بدراسة ميدانية على بعض العمال والموظفين شملت ٦٠٠ شخص، وقد كانت هذه الدراسة

أول دراسة اجتماعية نفسية ميدانية على وجه الإطلاق، أظهرت الدراسة عن طريق توظيف التحليل النفسي أن للالتزام السياسي والانتماء الحزبي أسباب مختلفة، ولهذا السبب فإن إلقاء نظرة على بنية الدوافع أو بنية الطباع هي وحدها الكفيلة بإظهار كيف يفكر إنسان ما ويشعر ويسلك.

وقد اهتم فروم بكتابات كارل ماركس في الثلاثينات من القرن الماضي عند نشر الأعمال الأولى لماركس وقد كان فروم هو أول من نشر هذه الأعمال باللغة الإنجليزية سنة ١٩٦١م، فما اهتم به فروم عند ماركس لم يكن فقط تصوره للاشتراكية، لكن وقبل كل شيء إيمانه العميق بتحقيق مجتمع عادل وبقيام فلسفة إنسانية. وقد فهم فروم ماركس طبقا لمنظوره الاجتماعي النفسي. وقد كان السؤال الجوهري الذي طرحه في هذا الإطار هو: هل هناك أسباب نفسية واجتماعية نفسية تجعل الناس غير قادرين على رؤية تعاستهم وعلى مقاومة هذه التعاسة؟ ومن أجل الإجابة على هذا السؤال استعمل فروم مفهومين ماركسيين أساسيين: الاغتراب والاغتراب الذاتي، ففروم يؤمن بعمق مع ماركس بأنه بإمكان الإنسان أن يعيش من قوته الذاتية، لكن هناك متطلبات اقتصادية وسياسية وثقافية اجتماعية تؤدي به نفسيًا إلى التغرب وإلى فقدان الطريق إلى ذاته وإلى الطبيعة وإلى الناس الآخرين.[١]

(١) ينظر: فروم، أريك، الإنسان المستلب وآفاق تحرره، ترجمة وتعليق: حميد لشهب، تقديم: راينر فونك، ب. د. ط، فيديبرانت، الرباط، ص٥-٨، ٢٩-٣١.

المطلب السادس: يورغن هابرماس:

ولد عام ١٩٢٩م، وهو فيلسوف وعالم اجتماع درس الفلسفة وعلم الاجتماع في جامعتي هايدلبرغ وفرانكفورت، في عام ١٩٥٤م، حصل هابرماس على درجة دكتوراه بأطروحة عن الفيلسوف الألماني المثالي فريدريش شيلينج. والتفت بعد ذلك إلى أعمال هربرت ماركوز والأعمال المبكرة لكارل ماركس، وبعدها بعامين أمسى أول مساعد أبحاث للفيلسوف تيودور في أدورنو بمعهد البحث الاجتماعي في فرانكفورت. تأثر هابرماس بخبرة أساتذته في فرانكفورت، تيودور أدورنو وماكس هوركهايمر، وكلاهما من أصول يهودية ألمانية، خلال هذه الفترة أضحت أعمال هابرماس أكثر راديكالية وأكثر تعاطفًا مع ماركس، لم يرق ذلك لهوركهايمر مدير المعهد بآراء هابرماس الماركسية الصريحة وخطط لرحيله عن المعهد. وفي عام ١٩٥٨م غادر هابرماس فرانكفورت قاصدًا جامعة ماربورغ حيث حصل على شهادة التأهيل للأستاذية عام ١٩٦١م، وبعدها أصبح أستاذًا للفلسفة في هايدلبرج، وفي ١٩٦٤م عاد ليشغل منصب أستاذ الفلسفة وعلم الاجتماع بجامعة فرانكفورت.

ويعد هابرماس من ورثة النظرية النقدية، الذين مع عدم انتمائهم إلى كوكبة المؤسسين والمشاركين والمنتمين التاريخية يستندون إلى النظرية النقدية في رهانات الحاضر. (١)

وهو من أبرز ممثلي مدرسة فرانكفورت وأكثر المنطقيين بينهم، حاول مع فلاسفة آخرين بينهم ماركوز وهوركهايمر وأدورنو انتقاد المجتمع وأشكال الاستلاب الحديث تيمنًا بماركس؛ لأنه فهم الماركسية على أنها نظرية نقدية كبرى بشرط أن تكون جدلية.

---

(١) ينظر: آسون، بول لوران، مدرسة فرانكفورت، مرجع سابق، ص٢٣.

ولقد قال عن نفسه: "كنت مصلحًا طول عمري، وربما ازدادت نزعتي الإصلاحية قليلاً في السنوات الأخيرة، ومع ذلك فأشعر شعورًا غلابًا بأنني آخر الماركسيين". (١)

والتصور العام الكامل لأعمال هابرماس تنقسم إلى خمسة برامج بحثية هي كالتالي:

١. النظرية البراجماتية للمعنى.
٢. نظرية العقلانية التواصلية.
٣. برنامج النظرية الاجتماعية.
٤. برنامج أخلاقيات الخطاب.
٥. برنامج النظرية الديمقراطية والقانونية، أو النظرية السياسية.

كل برنامج من هذه البرامج مستقل بذاته نسبيًا ويسهم في جانب منفصل من جوانب المعرفة، ولكن في الوقت نفسه كل منها يرتبط بشكل أو بآخر ارتباطًا نظاميًا بغيره من البرامج، فتقدم النظرية البراجماتية للمعنى عند هابرماس إضافة إلى النظرية العقلانية التواصلية الأفكار الإرشادية لنظريته الاجتماعية والأخلاقية والسياسية، وتدعم هذه البرامج البحثية الثلاثة كل منها الآخر.

ولقد ذاع صيت هابرماس بوصفه صاحب مؤلف نظرية الفعل التواصلي، والعديد من المقالات حول أخلاقيات الخطاب، ومؤلفه بين الحقائق والمعايير، وهي من الأعمال التي طورت فيها نظريته الاجتماعية والأخلاقية والسياسية على الترتيب. ويعرف هابرماس أيضًا باعتباره رائدًا من رواد الجيل الثاني من منظري مدرسة

(١) تورمي، سايمون- تاونزند، جولز، المفكرون الأساسيون من النظرية النقدية إلى ما بعد الماركسية، ترجمة: محمد عناني، ط١، مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، القاهرة، ٢٠١٦م، ص٢٦١.

فرانكفورت، وتُفهم أعماله بأفضل ما يكون باعتبارها ثمرة الاستجابة المستمرة للنظرية النقدية للجيل الأول من منظري مدرسة فرانكفورت. ومفهوم النظرية النقدية عند هابرماس يهتم بمفهوم الفضاء العام؛ لأنه يعتبره أصلاً لنموذج إرساء السياسات الديمقراطية، وأساسًا للقيم الأخلاقية والمعرفية التي تعزز الديمقراطية وتحافظ عليها ألا وهي المساواة والحرية والعقلانية والحقيقة. ودائمًا كانت أعمال هابرماس مختلفة عن أعمال أساتذته بمدرسة فرانكفورت، إذ كان اهتمامه الشديد بالحرية الفردية مرتبطًا باهتمامه بمصير المؤسسات الديمقراطية وبآفاق تجديد السياسات الديمقراطية. ومن أهم ما كتبه هابرماس: البنية السلوكية للحياة العامة سنة ١٩٦٢م، وفي عام ١٩٦٣م ألف النظرية والممارسة، وألف التقنية والعلم من حيث هما إيديولوجيا، ووجوه فلسفية وسياسية. (١)

إذًا الملاحظ أن هذه النظرية متمثلة بفكر روادها لم تخرج عن إطارين:

الإطار الماركسي: بأدواته النقدية.

الإطار الرأسمالي: بممارساته التسلطية الإمبريالية في الجانب الاجتماعي والاقتصادي والفني والسياسي والشخصي، فقد انصب روادها في نقدهم للرأسمالية، إذ أنهم يعتقدون أنها أبرزت لنا هذا الواقع وجعلت الإنسان شيئًا، أو سلعة أو بضاعة ولم تعامله كإنسان، أيضًا جعلته يعيش بغربة عن ذاته نتيجة الممارسة الاقتصادية في المصانع بين أرباب العمل الطبقة البرجوازية وطبقات العمال، وصار الإنسان ذو بعد واحد وهو البعد المادي ولم يخرج عن هذا البعد.

---

(١) انظر: ألفا، روني إيلي، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، مرجع سابق، ٥٢٣/٢، فينليسون، جيمس جوردن، يورجن هابرماس، ترجمة أحمد محمد الروبي، مراجعة ضياء ورَّاد، ط١، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٥م، ص١١، ١٦، ١٧.

وفي ختام هذا المبحث نذكر أبرز الشخصيات التي ساهمت في فكر مدرسة فرانكفورت، نذكر مجموعة من معاوني معهد الأبحاث الاجتماعية منذ تأسيسه وأهمهم: فرانس بوركينو، كورت البير جرلاش، هانيك غروسمان، أوتو كيركهايمر، ميرا كو ماروفسكي، سيغفرد كراكاور، ليو لونتال، فرانتر نيومان، فردريك بولوك، اندرياس سترنهايم، فلكيس ويل أو قاي، كارل أوغست فيتفوجل.

وأيضًا شخصية شاركت دون أن تكون جزءًا من المدرسة، وهي ارنست بلوخ الذي يلتقي تصوره للأوتوبيا مع رهانات ومواضيع النظرية النقدية وانطلاقًا من مبادئ مختلفة تمامًا. (١)

(١) ينظر: آسون، بول لوران، مدرسة فرانكفورت، مرجع سابق، ص٢٣.

المبحث السادس: بعض الإيجابيات والسلبيات في مدرسة فرانكفورت.

النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت تعد واحدة من أكثر النظريات تأثيرًا في الفلسفة الاجتماعية والنقد الثقافي في القرن العشرين، تأسست المدرسة في عشرينيات القرن الماضي من قبل مجموعة من المفكرين، ركزت على نقد المجتمعات الرأسمالية الغربية وظواهرها الثقافية والسياسية، وقدمت فهمًا جديدًا للمجتمع الحديث، إن مدرسة فرانكفورت لها تأثير في الأوساط الفكرية في العالم الغربي بفضل قدرتها على تحليل كل من الواقع والفكر ونقدهما بعيدًا عن كل الأغلال الأيديولوجية، وبعيدًا عن كل دوغمائية عمياء. (١)

و"لعل من أهم ما يذكر لأصحاب النظرية النقدية أنهم أكدوا الدور النقدي والثوري للفلسفة، وحددوه من خلال تحليلاتهم النافذة للمجتمع الصناعي والرأسمالي المتقدم، وللقوى والمصالح المحركة لعقلانيته العلمية والتقنية المسئولة في رأيهم عن ظواهر الاغتراب والشقاء والقمع والقهر الجاثمة على أنفاسه بتجاوز الأوضاع والقيم والمعارف والمناهج وأساليب التفكير السائدة فيه، وضرورة الالتزام بنقدها ومقاومتها تمهيًدا لتغييرها من جذورها، وبذلك نجحوا إلى حد كبير في التوحيد بين الفلسفة والثورة، وفي مطالبة الفيلسوف بأن يكون ثائرًا، والثائر بأن يكون فيلسوفًا، بشرط أن يلتزم كلاهما بطبيعة الحال بالدقة والموضوعية العلمية الكافية، والدليل على هذا أنهم نادوا منذ البداية بالتفاعل والتكامل بين النظرية أو الفلسفة الاجتماعية، ولذلك كان معظمهم فلاسفة وعلماء اجتماع في وقت واحد، وأثمرت جهودهم بحوثًا

(١) بتصرف، هوركايمر، ماكس، النظرية التقليدية والنظرية النقدية، مرجع سابق، ص٣.

ودراسات عديدة تولى معهد البحث الاجتماعي نشرها في مجلته أو في صورة كتب مستقلة قام بإصدارها. "[١]

أيضًا نجد أن النظرية النقدية للمجتمع قامت بدور فاعل المتمثل بنقد الآليات الفكرية والعملية للمجتمع الرأسمالي بكل تجلياته ومرتكزاته، من خلال تفسيرها وتحليلها له فهي شكلت نقطة تحول جذرية في الفكر الاجتماعي النقدي والفلسفي على حد سواء، لكن يؤخذ عليها أنها في حقيقة الأمر عجزت عن تقديم تصور نظري بديل واضح المعالم لإخراج الإنسانية من مأزقها و وضعها الحالي، مع العلم أن معظم روادها كانوا جميعهم يلحون باستمرار على ضرورة التغيير الشامل للوضع القائم، لكن كان يغلب على أفكارهم الطابع الطوباوي، أي المثالي غير الواقعي، الذي يهدف إلى نقد الوضع القائم مع سعي على الحفاظ عليه بالوقت ذاته، بمعنى آخر هي مهمة مزدوجة هدفها نقد النظام القائم وتنقيته من الشوائب، مع ضرورة الإبقاء على مكاسبه التي تحترم إنسانية الإنسان، بذلك تدخل مدرسة فرانكفورت دائرة النقد الثقافي الاجتماعي غير الهدام. [٢]

فيظهر من العرض السابق للنظرية النقدية أن لها بعضًا من الإيجابيات والسلبيات نلخصها فيما يلي:

(١) مكاوي، عبد الغفار، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، ص٢٦.

(٢) بتصرف: فياض، حسام الدين، النظرية النقدية للمجتمع مدرسة فرانكفورت نموذجًا، مرجع سابق، ص ٢٠.

أولاً: إيجابيات النظرية النقدية:

١.تحليل المجتمع الحديث: ركزت النظرية النقدية على دراسة التأثيرات السلبية للرأسمالية والعقلانية الأداتية على الفرد والمجتمع، وساعدت في فهم كيف تؤثر أنظمة الهيمنة الاقتصادية والسياسية على الثقافة والحياة اليومية للإنسان.

٢.دمج الفلسفة مع العلوم الاجتماعية: قدمت مدرسة فرانكفورت تحليلات متعمقة من خلال المزج بين الفلسفة الماركسية، وعلم الاجتماع، والتحليل النفسي، مما أعطى رؤية متكاملة ومتماسكة للواقع الاجتماعي.

٣.التشديد على أهمية الحرية الفردية: ركزت النظرية على ضرورة تحرير الإنسان من أشكال الهيمنة الاقتصادية والسياسية والثقافية، وسعت إلى تعزيز دور الفرد في تشكيل مصيره.

٤.التنبيه إلى مخاطر العقل الأداتي: انتقدت النظرية الاستخدام الأداتي للعقل، حيث يُنظر إلى البشر كوسائل لتحقيق أهداف اقتصادية، بدلاً من التعامل معهم بالنظر إلى إنسانيتهم.

٥.زيادة الوعي في المجتمع: ساعدت النظرية الناس على فهم كيف تؤثر الثقافة الاستهلاكية والإعلام على خياراتهم اليومية وطرق تفكيرهم، مما عزز الوعي النقدي.

وأما الجانب المستحسن في النظرية النقدية من وجهة نظر إسلامية فهي قليلة فمن ذلك:

١. الإسلام يتفق مع النظرية النقدية في نقد الهيمنة المادية التي تؤدي إلى استعباد الإنسان واستغلاله، ويدعو إلى العدل والمساواة بين الناس، بعيدًا عن الطبقية.

٢. مثلما تنتقد النظرية استغلال الإنسان كوسيلة لتحقيق أهداف اقتصادية، يؤكد الإسلام على كرامة الإنسان ومكانته العليا بوصفه خليفة في الأرض.
٣. الإسلام يشجع التفكير النقدي والإبداع، وهو ما يتماشى مع هدف النظرية النقدية في تحفيز الإنسان على استخدام عقله بحرية.
٤. من إيجابيات النظرية النقدية اعتراضهم على التشيؤ، وهذا الاعتراض متفق مع مبادئ الدين الإسلامي، فالإسلام دين الوسطية، فلا إفراط ولا تفريط من ناحية الحرص على العمل والكسب، وعليه فإن الإنسان مطالب بالسعي في الأرض لنيل الرزق، فالمسلم يثق بالله عز وجل وأنه الرازق المعطي، وأنَّ الأرزاق مقسمة منذ خلق الله السماوات والأرض، وأن جميع ما على الأرض من دواب قد تكفل الله برزقها قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦﴾ [هود: ٦] وعلى الإنسان المسلم أن يتوكل على الله عز وجل قال الرسولﷺ: "لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا". (١)

ومن السلبيات في فكر مدرسة فرانكفورت ما يلي:

١.التشاؤم المفرط والتركيز على الجوانب السلبية: المتأمل في انتقادات مفكري النظرية النقدية يرى الطابع التشاؤمي للنظرية النقدية، حيث ركزت بشكل كبير على السلبيات وأهملت الجوانب الإيجابية للتطورات سواء على نحو اجتماعي وسياسي واقتصادي.

(١) أخرجه الترمذي في ســـننه، ح ٢٣٤٤، أبواب الزهد، باب في التوكل على الله، ٤/ ١٥١، وهو حديث حسن صحيح.

٢.قلة التطبيق العملي: تعتبر النظرية النقدية غير عملية، إذ ركزت على النقد دون تقديم حلول عملية أو تطبيقية للتغيير.

٣.إغفال بعض القضايا الاجتماعية: ركزت على قضايا الهيمنة الرأسمالية والإعلامية، لكنها لم تعطِ نفس القدر من الاهتمام لقضايا مثل النوع الاجتماعي أو البيئة.

٤.عدم السير على منهجية واضحة: "ربما يؤخذ على النظرية النقدية أنها لم تستطع أن تقيم أبنية منهجية أو نسقية محكمة متماسكة؛ ولذلك بقيت فلسفة حرة مفتوحة، تعتمد على حدوسهم الثاقبة أكثر مما تعتمد على التطوير التصوري الصارم للأفكار، وتعبر عن نفسها في صورة مقالات وشذرات متفرقة لا في بناء مترابط دقيق، وربما يرجع السبب في هذا إلى تنوع اهتماماتهم ومواهبهم، وتمزق شخصياتهم بين العالم الاجتماعي والجدلي الصارم وبين الفنان العاطفي أو الرومانتيكي الحالم، وحرصهم على البعد عن صورة الفيلسوف والعالم بالمعنى الحرفي، على الرغم من أن بعضهم قد شغل منصب الأستاذية في الجامعة رغبة منهم في الاحتفاظ بصورة الفيلسوف والعالم الحر، واستجابة لطبيعتهم القلقة ومزاجهم الثوري الذي جعلهم ينخرطون في تناقضات عصرهم وأزماته وأمراضه ويحاولون تشخيصها ووصف العلاج الحاسم للخلاص منها". (١)

٥. عدم التقدم وإصلاح المجتمع في السياسة: يلاحظ على مفكري النظرية النقدية عزوفهم عن ممارسة السياسة كمبدأ أصيل في ثورتهم، فهم يماهون بين النظرية

(١) مكاوي، عبد الغفار، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، ص٢٧.

والفعل الثوري، فتصورا أن مقالاتهم ونظرياتهم هي أعلى وأقوى الممارسات الثورية، فأصبحت النظرية عبارة عن أقوال بلا أفعال. (١)

وأما نقد مدرسة فرانكفورت من الجانب الإسلامي فكثير حيث أنها لا تنبع من الشريعة الإسلامية، ولا تتصل بها بشكل من الأشكال، ويظهر عليها عدم الاهتمام بالدين بشكل عام، نظرًا لارتباطها بالفكر الماركسي، واهتمامها بالماديات، فأهملت الجانب الديني مما يجعلها غير قادرة على فهم البعد الروحي للإنسان، الذي يمثل جانبًا جوهريًا في الإسلام، فالإسلام يدعو إلى التوازن بين المادة والروح، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ **سورة الملك**: ١٥، بينما ركزت النظرية النقدية على الجانب المادي والاجتماعي فقط.

(١) عاشور، مصطفى، مدرسة فرانكفورت النشأة والمرتكزات، موقع إسلام أون لاين، https: //2u.pw/Rth4l8.

الخاتمة

حرص رواد مدرسة فرانكفورت على تغيير الواقع إلى الأفضل، حيث أنَّ ذلك هو المقصد الأكبر من النظرية النقدية، وقد وصل البحث في هذه المدرسة إلى بيان أبرز النتائج والتوصيات وهي كما يلي:

أبرز النتائج:

١. أن النظرية النقدية في أصلها تعتمد على النقد.

٢. أن مدرسة فرانكفورت نقدت النظريات التي أنتجت الواقع، كنظرية السياسة الليبرالية، والحداثة، والرأسمالية.

٣. إن مبررات ظهور هذه النظرية بسبب أزمة الإنسان، والحضارة المعاصرة، والحداثة، والتقنية، والعلم، والعقل الأداتي.

٤. مرجعية مدرسة فرانكفورت هي المرجعية الماركسية، والمؤثرين بها هم: كانط في النقد، وهيغل في الجدل، وماركس في الصراع الطبقي للنظرية الاجتماعية وحقوق العمال، وفرويد في التحليل النفسي.

٥. إن من أهم أعلام مدرسة فرانكفورت هوركايمر، أدورنو، ماركيوز، هابرماس، الك فروم، والتر بنيامين.

٦. إن من عيوب مدرسة فرانكفورت نقدها للواقع مع عدم إيجادها لحلول لما تم نقده.

أبرز التوصيات:

دراسة مدرسة فرانكفورت من نواحي متعددة ومن أمثلة ذلك:

١. دراسة جدوى أفكار مدرسة فرانكفورت ومدى تطبيقها، وملائمتها للواقع المعاصر.

٢. دراسة في كيفية الاستفادة من فكر النظرية النقدية في نواحي أخرى.

وفي ختام ذلك أسأل الله أن ينفع بهذا البحث، ويبارك فيه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- آسون، بول لوران، مدرسة فرانكفورت، ترجمة سعاد حرب، ط٢، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٥هـ=٢٠٠٥م.
- أفاية، محمد نور الدين، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، ط٢، إفريقيا الشرق، المغرب، ١٩٩٨م.
- ألفا، روني إيلي، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، مراجعة: جورج نخل، ط١، دال الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ=١٩٩٢م.
- برونز، ستيفن إريك، النظرية النقدية، ترجمة سارة عادل، مراجعة: مصطفى محمد فؤاد، ط١، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٦م.
- بوتومور، توم، مدرسة فرانكفورت، ترجمة: سعد هجرس، مراجعة: محمد حافظ دياب، ط٢، دار أويا، طرابلس، ٢٠٠٤م.
- بوشنسكي، إ. م، الفلسفة المعاصرة في أوربا، ترجمة: عزت قرني، ب. د. ط، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٠-١٩٢٣م.
- الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، ب. د. ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.
- تورمي، سايمون- تاونزند، جولز، المفكرون الأساسيون من النظرية النقدية إلى ما بعد الماركسية، ترجمة: محمد عناني، ط١، مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، القاهرة، ٢٠١٦م.
- جمعة، قاسم، النظرية النقدية عند أريك فروم، ط١، منتدى المعارف، بيروت، ٢٠١١م.
- الخوني، محسن، منزلة كانط في مدرسة فرانكفورت، http: //almudwna. blogspot. com/2017/01/blog-post. html.

- صليبيا، جميل، المعجم الفلسفي، ب. د. ط، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ١٤١٤هـ=١٩٩٤م.
- عاشور، مصطفى، مدرسة فرانكفورت النشأة والمرتكزات، موقع إسلام أون لاين، https: //islamonline. net/
- فروم، أريك، الإنسان المستلب وآفاق تحرره، ترجمة وتعليق: حميد لشهب، تقديم: راينر فونك، ب. د. ط، فيديبرانت، الرباط.
- فياض، حسام الدين، النظرية النقدية للمجتمع مدرسة فرانكفورت نموذجًا، ط١، نحو علم اجتماع تنويري، ٢٠١٠م.
- فينليسون، جيمس جوردن، يورجن هابرماس، ترجمة أحمد محمد الروبي، مراجعة ضياء ورَّاد، ط١، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٥م.
- محمد، رمضان بسطويسي، علم الجمال لدى مدرسة فرانكفورت أدورنو نموذجًا، ط١، مطبوعات نصوص٩٠، القاهرة، ١٩٩٣م.
- المحمداوي، علي عبود، الخطاب النقدي الثقافي ومراجعة الفعل السياسي دراسة في منجز النظرية النقدية الألمانية، ب. د. ط، https: //www. iasj. net/iasj/download/aa9136cd2821c6b9.
- مسمية، ثريا، مدرسة فرانكفورت دراسة في نشأتها وتياراتها النقدية واضمحلالها، ط١، العتبة العباسية المقدسة، النجف–العراق، ١٤٤١هـ=٢٠٢٠م.
- مكاوي، عبد الغفار، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، ب. د. ط، مؤسسة هنداوي سي آي سي، ٢٠١٧م.
- هوركايمر، ماكس، النظرية التقليدية والنظرية النقدية، ترجمة: مصطفى الناوي، مراجعة: مصطفى خياطي، ط١، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، ١٩٩٠م.
- النجار، محمد وآخرون، المعجم الوسيط، ب. د. ط، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، القاهرة، ب. د. ت.

فهرس الموضوعات

المحتويات

ملخص البحث: ١٠١١

مقدمة ١٠١٣

أولاً: التعريف بموضوع البحث: ١٠١٤

ثانيًا: إشكالية البحث: ١٠١٤

ثالثًا: تساؤلات البحث: ١٠١٤

رابعًا: أهمية الموضوع: ١٠١٤

خامسًا: أسباب اختيار الموضوع: ١٠١٥

سادسًا: أهداف البحث: ١٠١٥

سابعًا: منهج البحث: ١٠١٥

ثامنًا: خطة البحث: ١٠١٦

المبحث الأول: مفهوم النظرية النقدية، وملامح لأفكارها العامة: ١٠١٨

المطلب الأول: معنى النظرية والنقد. ١٠١٨

المطلب الثاني: مفهوم النظرية النقدية عند مدرسة فرانكفورت. ١٠٢٠

المطلب الثالث: الملامح العامة للنظرية النقدية. ١٠٢٢

المبحث الثاني: نشأة النظرية النقدية. ١٠٢٤

المبحث الثالث: المؤثرات على النظرية النقدية وفيه مطلبين: ١٠٢٧

المطلب الأول: بعض الأعلام المؤثرين في أعلام مدرسة فرانكفورت: ١٠٢٧

المطلب الثاني: المؤثرات الخارجية على النظرية النقدية: ١٠٣٢
المبحث الرابع: السمات العامة لمدرسة فرانكفورت: ١٠٣٤
المطلب الأول: التشيؤ والاغتراب:..... ١٠٣٥
المطلب الثاني: العقل الأداتي أو العقلانية التقنية: ١٠٣٧
المطلب الثالث: القمع والتسلط في المجتمعات الصناعية المتقدمة:..... ١٠٣٨
المطلب الرابع: الطابع الثوري للنظرية:..... ١٠٤٠
المطلب الخامس: أنماط المعرفة والمصالح الموجهة لها:..... ١٠٤٠
المبحث الخامس: بعض الأعلام البارزين في مدرسة فرانكفورت: ١٠٤٢
المطلب الأول: ماكس هوركهايمر..... ١٠٤٢
المطلب الثاني: تيودور فيزنغروند أدورنو. ١٠٤٦
المطلب الثالث: هربرت ماركوز :..... ١٠٤٨
المطلب الرابع: والتر بنيامين..... ١٠٥٠
المطلب الخامس: إريك بينشاس فروم..... ١٠٥١
المطلب السادس: يورغن هابرماس: ١٠٥٤
المبحث السادس: بعض الإيجابيات والسلبيات في مدرسة فرانكفورت. ١٠٥٨
الخاتمة ١٠٦٤
قائمة المصادر والمراجع..... ١٠٦٥
فهرس الموضوعات ١٠٦٧